نزار الخزرجي

الرئيس السابق لاركان الجيش العراقي

يكشف

دفاتر الحاضر والماضي

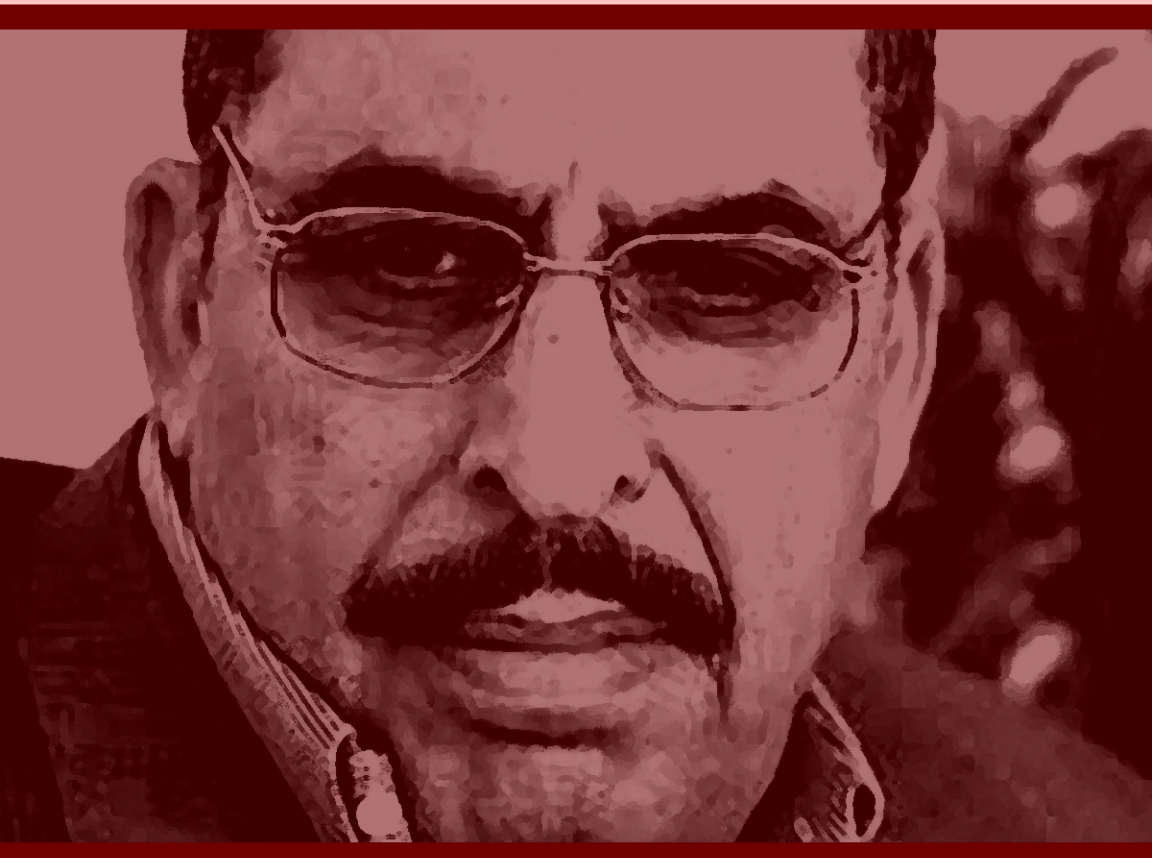

سلسلة حوارات اجراها

غسان شربل

2002

نزار الخزرجي

الرئيس السابق لاركان الجيش العراقي

يكشف

دفاتر الحاضر والماضي

حوارات من سلسلة "يتذكر" نشرتها جريدة الحياة

بين ٢٨ تشرين الثاني /نوفمبر و٢ كانون الأول /ديسمبر ٢٠٠٢

أجرى الحوارات:

غسان شربل

الفهرس

تمهيد ٥

الحلقة الأولى: أسلحة الدمار الشامل وقصف حلبجة ٩

نص الحلقة الأولى ١٠

الحلقة الثانية: انتفاضة الجنوب واغتيال صدام ٢٣

نص الحلقة الثانية ٢٥
محاكمة صدام ٢٧
الفساد في الجيش ٢٨
عمليات التصفية ٢٩
محاولات انقلابية ٣٠
محاولة تكرار حادث المنصة ٣١
اسباب الفشل ٣٢
اخطر المحيطين بصدام ٣٣
المدنيون في الجيش ٣٤
نهب الكويت ٣٦
المخابرات في الجيش ٣٦
قصي أخطر من عدي ٣٧
اجراءات للبقاء ٣٩
سجناء نهشتهم الكلاب ٤٠

الحلقة الثالثة: اجتياح الكويت ٤٢

نص الحلقة الثالثة ٤٤
٣٥٠ بليون دولار ٤٥
عقدة بطل الامة ٤٧
دروس ستالين ٤٧
النبأ الصاعقة ٥٢
موعد مع القائد ٥٢
حين يغضب الرئيس ٥٤
جفن من يرف أولاً ٥٨

الحلقة الرابعة: نهاية الحرب مع ايران ٦١

نص الحلقة الرابعة ٦٢
"تصدير الثورة" ٧٠
اسوار القصر ٧٥

الحلقة الخامسة (الأخيرة): التغيير ٨٢

نص الحلقة الاخيرة ٨٤

الرئيس والجنرال الجريح ٨٥

طائرة عدنان خيرالله ٩٦

خطة الخروج ٩٨

نشرت هذه الحوارات لاحقا في كتاب:

العراق من حرب الى حرب

صدام مر من هنا

لـ"غسان شربل"

تمهيد

في برد سوغو، البلدة الدنماركية الهادئة، رجل ستيني يتحرق للعودة إلى بلاده. وقدر هذا الرجل أن يكون من بلاد صعبة خبر أهوال عقودها الماضية، لكن العودة تستلزم ازاحة الرجل الذي يمسك بمصائر كل المقيمين على تلك الأرض. وهي مهمة صعبة أيضاً.

إنه الفريق أول ركن نزار الخزرجي الرئيس السابق لأركان الجيش العراقي.

أسباب كثيرة دفعتني إلى محاولة اشراكه في سلسلة "يتذكر". فهو دخل الكلية العسكرية في ١٩٥٥، أي في ظل الحكم الملكي وقبل ثلاثة أعوام من ثورة ١٤ تموز يوليو. وفي صفوف الجيش عاش تلك العقود المضطربة التي راحت تتزايد خطورة حتى اليوم. ارتقى في السلّم العسكري وتولى قيادة فرقة وفيلق، وعلى دوي الحرب العراقية - الإيرانية عين في ١٩٨٧ رئيساً لأركان الجيش واقترب عدد العاملين تحت امرته من المليون. وفي عهده في رئاسة الأركان توقفت الحرب بفعل تغيير اقترحه في استراتيجية المواجهة. وكان الخزرجي رئيساً للأركان أيضاً حين اجتاحت قوات الحرس الجمهوري الكويت من دون ابلاغه، وسيروي القصة كاملة ومعها كيف اتخذ الرئيس صدام حسين قرار ازاحته من منصبه لأنه قال أمامه في الاجتماع "سنخسر الحرب". وبعد ذلك التاريخ عين مستشاراً عسكرياً لرئيس الجمهورية وعضواً في المكتب العسكري

للحزب، لكنه لم يمارس المهمتين ولازم منزله حيث بات في شبه اقامة جبرية. وفي ١٩٩٦ اتخذ قرار الخروج سراً من العراق، لأنه اعتبر اطاحة نظام صدام شرطاً لإنقاذ البلاد.

منذ شهور يتزايد الهمس عن دور ينتظر الخزرجي وهو أرفع عسكري فر من البلاد. لكن محاولته الحصول على وثيقة سفر لمغادرة الدنمارك إلى شمال العراق ايقظت الشكاوى التي رفعت ضده في كوبنهاغن واتهمته بارتكاب "جرائم حرب" في كردستان، خصوصاً ما يتعلق بقصف حلبجة بالسلاح الكيماوي وحملة الانفال. وحال التحقيق المفتوح دون حصوله على وثيقة السفر وهو ينذر بتحويله "أسيراً" في حين يتطلع عسكريون عراقيون إلى أن يتقدم صفوفهم من شمال العراق إلى بغداد.

في شقته المتواضعة فتح الخزرجي لـ"الحياة" دفاتر الحاضر والماضي، وهو يعرف الكثير. تحدث عن الحرب العراقية - الإيرانية والمعارك التي أدت إلى حسمها والاستخدام المتبادل للسلاح الكيماوي. وتوقف عند الفترة الفاصلة بين وقف النار مع إيران وغزو الكويت والتغيير الهائل الذي طرأ على شخصية الرئيس المسكون بهاجس التاريخ والشديد الاعجاب بجوزيف ستالين. روى كيف يدير صدام حسين البلاد والمؤسسة العسكرية، وتوقف عند الأدوار حول الرئيس وحلقة الضعفاء أصحاب الولاء الكامل. وحكى قصة هيئة التصنيع العسكري وأسلحة الدمار الشامل و"المملكة" التي كانت في عهدة رجلين هما صدام حسين وصهره

الراحل حسين كامل. وكشف مجموعة انتفاضات خطط لها الجيش لإطاحة النظام الذي رد عليها بسلسلة طويلة من عمليات الإعدام. اعتبر أن الحل للمأزق العراقي يجب أن يكون عراقياً بانتفاض الجيش والشعب مع ضغط أميركي وغربي ودولي. وحذر من أن حرباً على العراق ستؤدي إلى تمزيق الجيش والبلد واطلاق صراعات رهيبة بين القوميات والطوائف والمذاهب.

ت٢/٢٠٠٢

نشرت هذه الحوارات لاحقا في كتاب:

العراق من حرب الى حرب

صدام مر من هنا

لـ"غسان شربل"

الحلقة الأولى: أسلحة الدمار الشامل وقصف حلبجة

نص الحلقة الأولى

< ما هي قصة اسلحة الدمار الشامل؟

- هذا الملف موجود منذ الاساس لدى هيئة التصنيع العسكري المرتبطة مباشرة بالقائد العام اي الرئيس. لم تكن لوزير الدفاع او رئيس الاركان اي علاقة بها. لم تكن لدينا اي فكرة عن مسار البرنامج النووي. ولم نكن على اطلاع على تطوير السلاح الكيماوي او الجرثومي، ولم تكن مثل هذه المسائل تناقش في اجتماعات كبار الضباط ولم يكن احد يشير اليها.

< هل تعتقد ان صدام حاول انتاج قنبلة نووية؟

- نعم حاول. لكن نحن نعرف ان المفاعل الرئيسي دمر في ١٩٨١ على يد سلاح الجو الاسرائيلي. بعدها لجأ الى وسائل اخرى اقل تطوراً لكن المسألة لم تكن سهلة على رغم شراء بعض التجهيزات وتهريبها من الخارج. اشك في ان يكون قادراً الآن على انتاج قنبلة نووية.

بالنسبة الى السلاح الكيماوي قال سكوت ريتر ان المفتشين دمروا اكثر من ٩٥ في المئة من المنشآت التي انفق صدام مبالغ هائلة في بنائها وشراء تجهيزاتها. اعتقد ان قسماً كبيراً من السلاح الكيماوي دمر. وحتى ولو كان هناك مخزون فان عامل الوقت يجعل هذا المخزون بلا قيمة لانه يفسد. طبعاً السلاح الكيماوي ليس كبير التأثير في الحرب النظامية اي على الجيوش لكنه مرعب للاهالي.

ثم انه يجب ان يستخدم بكميات واسعة جداً ويجب ان تحمله اصلاً القوات الجوية. انا اشك في حال حصول حرب جديدة ان تتمكن طائرة من طائرات صدام حسين من التحرك في الاجواء. سلاح الصواريخ دمر عملياً. لهذا اشك في ان يكون قادراً على توجيه ضربات كيماوية فعالة. السلاح الجرثومي مسألة اخرى، يمكن انتاجه في مختبرات خاصة ويمكن ان يكون المختبر صغيراً. لهذا لن يكون غريباً ان يكون لديه سلاح جرثومي. اما السلاح النووي فلا اعتقد ان لديه الامكانات والوقت اللازم لانتاجه كما اشك في ان تكون لديه مخزونات كبيرة من الاسلحة الكيماوية وان يكون قادراً على استخدامها في شكل مؤذ.

طبعاً لا يمكن فصل موضوع اسلحة الدمار الشامل عن تفكير صدام حسين الذي يعتبر ان الكلمة الاخيرة هي للقوة. وهو يعتقد في قرارة نفسه انه قائد استثنائي وان العراق القوي بقيادته قادر على لعب دور كبير في المنطقة. ثم انه رأى ان العراق يجاور دولتين اكبر منه سكانياً احداهما تركيا وهي دولة اطلسية والاخرى ايران وبينها وبين العراق تاريخ طويل. هذه العلاقة يضعها صدام في اطار النزاع بين العرب والفرس. هناك حلم القوة وجاءت الحرب العراقية. الايرانية، وحين بدت طويلة انطلقت برامج تطوير اسلحة الدمار الشامل وانفق عليها بلا حساب.

< متى استخدم السلاح الكيماوي للمرة الاولى في الحرب العراقية . الايرانية؟

- استخدم في النصف الاول من الثمانينات رداً على الموجات الايرانية المتلاحقة. لا اذكر الموعد تحديداً. استخدم في الغالب عن طريق القوة الجوية واحياناً عن طريق سلاح الصواريخ. طبعاً هنا يجب القول ان الجانب الايراني استخدم ايضاً السلاح الكيماوي لكن استخدامه لهذا السلاح كان بدائياً.

< هل تجزم ان ايران استخدمت هذا السلاح واين؟

- نعم استخدم الايرانيون السلاح الكيماوي وفي مناطق مختلفة ووقعت اصابات في الجانب العراقي. لكن في تلك الفترة كانت الطائرات العراقية تسيطر على الاجواء فاستخدام الايرانيون وسائل اخرى لم يكن لها تأثير كبير. نعم لقد قتل عراقيون بالسلاح الكيماوي الايراني، لكن استخدام هذا السلاح من جانب العراق كان اكثر تطوراً. اعتقد ان السلاح الكيماوي استخدم للمرة الاولى في ١٩٨٤. لا اذكر الموعد تحديداً. اعتقد ان العراق كان اول من لجأ الى هذا السلاح.

< من يستطيع استخدام السلاح الكيماوي في العراق وما هي الآلية؟

- استخدام هذا السلاح مدرج تحت تسمية "الضربات الخاصة". والامر بتنفيذ هذه الضربات لا يمكن ان يصدر الا عن القائد

العام. الاستخدام والتوقيت والسيطرة على العملية امر يعود الى القائد العام. هذه الاسلحة تصنع في هيئة التصنيع العسكري، لكنها تستخدم عبر وسيلتين: القوة الجوية او الاسلحة القاذفة الموجودة لدى الحرس الجمهوري الخاص. وتحريك هذه الاسلحة الكيماوية وشحنها وموعد اطلاقها واستخدامها من شأن القائد العام وحده.

< هل يمكن وضع قصف حلبجة في هذا السياق؟

- تعرضت حلبجة لضربة جوية بأمر من القائد العام. الواقع ان ما حصل غريب. كان علي حسن المجيد مسؤولاً عن الشمال واعطى صلاحيات استثنائية كاملة. وكانت هناك هجمات ايرانية في المنطقة. ابلغت عناصر امنية وحزبية علي حسن المجيد ان حلبجة سقطت في يد الايرانيين فاخبر صدام بذلك. عندها امر صدام بتوجيه "ضربة خاصة" الى حلبجة معتقداً انه سيكبد الايرانيين خسائر كبيرة. كانت الضربة جوية. والغريب ان حلبجة ساعة الضربة لم تكن قد سقطت بيد الايرانيين وكان لا يزال فيها عدد من الجنود العراقيين. وقد اكد عدد من القادة الاكراد انهم عثروا بين ضحايا حلبجة على جثث جنود عراقيين. قائد الفرقة التي تتولى مسؤولية الامن في المنطقة لم يكن يعرف بالضربة، ولا قائد الفيلق ولا انا رئيس الاركان ولا وزير الدفاع نائب القائد العام الفريق اول ركن عدنان خير الله. عرفنا بعد حدوث الضربة. قائد الفيلق الاول الفريق كامل ساجد كان يدير المعركة في ذلك القطاع

وكانت لديه قطعات في حلبجة. و كانت هناك عناصر حزبية من التوجيه السياسي عسكرية ومدنية لديها اتصال مباشر مع علي حسن المجيد الذي كان مسؤول الحزب ومقره في كركوك. ابلغوه بسقوط حلبجة فاتصل بصدام واقترح توجيه "ضربة خاصة" فأمر صدام القوة الجوية بتنفيذ الضربة. كان ذلك في ١٩٨٨/٣/١٦ على ما اعتقد. اذكر ان الفريق كامل ساجد اتصل بي وكان لا يعرف شيئاً عن الضربة. وقد اعدمه صدام في ١٩٩٨.

< ألم تثر قصة السلاح الكيماوي في اجتماع لكبار الضباط؟

- هذا الامر كان خارج نطاق الجيش وصلاحياته.

< ألم يتحدث صدام معك كرئيس لاركان الجيش عن السلاح الكيماوي؟

- صدام يتحدث مع كل قائد عسكري بما يخص القوات التابعة له. لا يناقش قائد سلاح بما يعني السلاح الآخر. يريد الادوار محدودة ومعرفة القائد محصورة بالسلاح الذي يتولى امرته. لا احد يعرف كل شيء الا القائد العام. هل يصدق احد مثلاً ان عزة ابراهيم الدوري نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عرف من الاذاعة ان الفاو حررت في ١٩٨٨/٤/١٧. للوهلة الاولى يظن الناس ان شخصاً في موقع عزة ابراهيم الدوري يجب ان يكون شريكاً في اضخم معركة في الحرب العراقية. الايرانية واذ به يعرف بتحريرها كأي شخص بعيد. انه اسلوب صدام حسين. انا مثلاً كرئيس

لاركان الجيش لا استطيع ان اطلب شيئاً من قائد القوة الجوية. لا استطيع ان اصدر أمراً له او لمدير المخابرات.

< ما الغرض من هذا الاسلوب؟

- منع اي تكتل بين قادة الاسلحة وربط الجميع مباشرة بالرئيس. قادة سلاح الجو والبحرية ورئيس الاركان ومدير المخابرات والتصنيع العسكري والتوجيه السياسي والحرس الجمهوري والحرس الجمهوري الخاص والاستخبارات العسكرية يعودون الى القائد. وهذا التقسيم سبب لنا خسائر كبيرة بسبب نقص التنسيق بين قادة مختلف الاسلحة.

< من كان المسؤول عن البرنامج النووي؟

- كانت هناك هيئة مسؤولة عن البرنامج النووي مرتبطة بالرئيس لكن هذا الملف كان موجوداً ايضاً لدى التصنيع العسكري وحسين كامل.

< هذا يعني ان حسين كامل كان مهماً جداً؟

- نعم منذ ١٩٨٧ اصبح اكثر اهمية من عدنان خير الله نائب القائد العام. وكان عدنان خير الله منزعجاً من ذلك. ذات يوم كان هناك اجتماع عسكري برئاسة نائب القائد العام. ادخلت له ورقة تنص على الحاق كل العلماء في الوزارة وفي غضون ٢٤ ساعة بهيئة التصنيع العسكري.

< من يتحمل مسؤولية حلبجة اذاً؟

- ثلاثة. صدام حسين الذي اصدر الامر باستخدام السلاح الكيماوي وحسن علي المجيد الذي نقل المعلومات الخاطئة واقترح الضربة الخاصة وهناك مسؤولية حسين كامل بوصفه المصنّع لهذا السلاح. علي حسن المجيد استخدم الضربات الكيماوية حتى في عمليات الانفال.

< وقائد الفيلق؟

- قلت انه لم يكن على علم وقد اكد لي ذلك. ولم يكن من الوارد اشراكه. بعد الضربة مباشرة انقطعت الاتصالات بين العسكريين في حلبجة وقائد الفيلق.

< وماذا عن حملة الانفال في كردستان العراق؟

- في ١٩٨٦ و١٩٨٧ سجل الايرانيون اختراقات كبيرة في المنطقة الشمالية حيث كان يرابط فيلقان عراقيان الاول والخامس. احتل الايرانيون اجزاء كبيرة من المنطقة الشمالية. صدر امر ان يفرغ الجيش للقتال على المنطقة الحدودية لاخراج الايرانيين واسندت مهمة فرض الامن والاستقرار ومواجهة الحركات الكردية المسلحة الى علي حسن المجيد الذي كان مسؤولاً عن الحزب في المنطقة الشمالية وعضواً في القيادة القطرية. منح علي حسن المجيد بقرار من صدام حسين صلاحيات كاملة بينها صلاحيات مجلس قيادة الثورة ووضع تحت امرته قطعات عسكرية ووحدات من الجيش

الشعبي واخرى حزبية وافواج من المتطوعين الاكراد. القطعات العسكرية التي الحقت بالمجيد قطعت علاقتها بالأطر التي كانت تابعة لها سابقاً.

في ضوء هذه الصلاحيات والامكانات بدأ علي حسن المجيد عملية التقتيل والتشريد التي يحاولون الصاق جزء منها بي. لم تكن لرئاسة الاركان اي سلطة على علي حسن المجيد ولم يكن تابعاً لنا وليس لنا حق التدخل. هناك من يقول لماذا لم تستقل إذاً؟ ينسى هؤلاء ان قراراً صدر عن مجلس قيادة الثورة يمنع الموظف من الاستقالة.

< قلت إن صدام كان يمول "حزب العمال الكردستاني" بزعامة عبدالله أوجلان؟

- نعم. كان يموله ويسلحه كما كان يمول حزب العمال الشيوعي الكردي ومجموعة كردية صغيرة. سلاح وأموال. الـ٢٥٠ مليون التي عثر عليها الأتراك لدى أوجلان مصدرها العراق. هؤلاء هم اليوم اليد الضاربة لصدام حسين في أوروبا والعالم. كانت مجموعات حزب العمال الشيوعي الكردي موجودة في منطقة السليمانية. شعر جلال طالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني بعلاقاتهم بالنظام فضربهم. هاجر قسم منهم إلى أوروبا والتحق القسم الآخر بالحزب الشيوعي الإيراني. كان صدام يستخدم هؤلاء كورقة ضغط على تركيا وعلى إيران.

< كم كان حجم إمكانات هيئة التصنيع العسكري التي ترأسها حسين كامل؟

- قبل حرب الكويت كانت لهيئة التصنيع العسكري موازنة غير محددة برقم أي موازنة مفتوحة. أدار الهيئة حسين كامل وهي كانت موضوعة تحت الاشراف المباشر لصدام حسين. لم يكن لأي جهة أخرى حق التدخل في شؤون هذه الهيئة التي احيطت برامجها بالسرية الكاملة. لم يكن من حق مجلس قيادة الثورة أن يتدخل ولم يكن باستطاعة الحكومة طرح سؤال ولم يكن وزير المال يستطيع أن يسأل عن الانفاق. الحقيقة ان هيئة التصنيع العسكري كانت أشبه بمملكة خاصة لرجلين هما صدام وحسين كامل. لم تكن لوزير الدفاع علاقة بما يدور داخلها وليس من حقه معرفة ماذا تفعل. المخصصات للهيئة تأتي مباشرة من رئاسة الجمهورية. كانت هذه الهيئة معنية بالبرنامج النووي والكيماوي والجرثومي وتطوير الأسلحة خصوصاً الصواريخ.

في بداية الحرب في ١٩٨٠ كنا نستورد الأسلحة والأعتدة، في منتصف الحرب كانت الهيئة قادرة على انتاج الذخائر وبعض الأسلحة. شهد عملها تطوراً سريعاً بفضل الاستعانة بعلماء وخبراء. صنعوا قنابل وصواريخ وفي آخر الحرب كانوا قد توصلوا إلى انتاج نماذج من دبابات لكنها لم تدخل الحرب.

استخدمت الهيئة الآلاف بينهم جيش من العلماء. انفقت فيها مبالغ هائلة واستخدمت أحياناً وسيلة للاثراء غير المشروع لحسين كامل وعناصر قريبة.

< هل تعتقد أن حسين كامل كان الرجل الأخطر قرب صدام حسين؟

- كان حسين كامل قريباً جداً. أحبه صدام ووثق به ثقة مطلقة. ورسخ زواج حسين من ابنة صدام هذه العلاقة. ووصل الأمر إلى حد أن صدام صار يتأثر بكلام حسين كامل.

< لماذا خرج حسين كامل؟

- بعد غياب عدنان خيرالله خلت الساحة لحسين كامل. صهر الرئيس وموضع ثقته ومسؤول عن برامج تطوير الأسلحة، وأسلحة الدمار الشامل. وحتى في وجود عدنان خيرالله كان حسين كامل قد نجح في زرع شيء من الشك بين صدام ونائبه وهو ابن خاله وشقيق زوجته.

شعر حسين كامل في التسعينات أن تغييرات تحصل داخل الحلقة الضيقة. نجلا الرئيس، عدي وقصي، يوسعان دائرة نفوذهما. وفي مثل هذه الحال لا بد أن يتم ذلك على حساب مواقع الآخرين في هذه الحلقة. كانت بدايات صعود قصي واضحة. حدثت مشاحنة غير معلنة بين الشقيقين والصهر. خفتت أضواء حسين كامل قليلاً. ومن عادة صدام أن يدفع أشخاصاً إلى المقدمة ثم يضعفهم

أو يوقف تقدمهم. تخوف حسين كامل من أن يصل الأمر إلى حد تهميشه أو إلقاء القبض عليه وتحميله تبعات بعض ما حدث في المرحلة السابقة. خرج حسين كامل في صيف ١٩٩٥ وعاد في الشهر الثاني من السنة التالية.

< هل سلّم حسين كامل أسرار النظام للأميركيين؟

- لا اعتقد أنه فعل ذلك. والدليل أنه لم يسقط من حسابه إمكان العودة. قد يكون تحدث في بعض الأشياء لكنني أشك في أن يكون باح بكل ما يعرف. عندما التقى الأميركيين اصيبت السلطة العراقية بارتباك وكشفت عن بعض ما كانت اخفته عن المفتشين وادعت أن حسين كامل كان يخفيها. ما عرفته من مقربين من حسين كامل، خلال اقامته في الأردن، أنه لم يعط الأميركيين معلومات بالغة السرية.

< لماذا عاد؟

- بدأ سفير العراق في الأردن آنذاك نوري اللويس حواراً مع حسين كامل وراح يحضه على العودة وطمأنه إلى أن المشكلة قابلة للحل. طلب حسين أن يصدر مجلس قيادة الثورة عفواً رسمياً عنه فصدر العفو. طلب الامان واعطيه. لم يكتف السفير العراقي بالقول إن المشكلة قابلة للحل، بل قال لحسين كامل إن المرحلة صعبة والرئيس يحتاج إليك وقد يسند إليك منصباً مهماً. في هذا الوقت كان حسين كامل يشعر بالخيبة. لم يعد مرتاحاً في اقامته

في الأردن ولم تنجح محاولاته استطلاع امكان تزعم المعارضة، واقفلت في وجهه أبواب دول كثيرة. في هذا الجو ومعه اتصالات بين أفراد العائلة، قرر أن يرجع. بقية القصة معروفة. إعلان الطلاق ثم عملية القتل.

< أولاد حسين كامل أحياء؟

- نعم.

< شاركت في القتال ضد الأكراد؟

- الأكراد يقاتلون الحكومة منذ ٤٠ عاماً. كل عسكري عراقي شارك في هذا القتال في مرحلة من المراحل بسبب تبديل مواقع ألوية الجيش. عندما كنت في المنطقة الشمالية كان الجيش يصطدم مع المسلحين المشاركين في حرب العصابات. أما عمليات الانفال فقد استهدفت المدنيين وهذه لا علاقة لنا بها لا من قريب أو بعيد.

< ماذا يفعل ضابط في القوات الجوية إذا تلقى أمراً بتوجيه ضربة كيماوية إلى مكان ما؟

- هناك من اعدم بسبب سوء الأداء، فكيف إذا تعلق الأمر بعصيان أوامر؟

< هذا يعني ان هؤلاء العسكريين لا يستحقون المحاكمة؟

- هناك واقع معروف في العراق.

< كيف كانت علاقتك مع علي حسن المجيد ابن عم صدام؟

- عرفته عندما صار مسؤولاً في المنطقة الشمالية، والتقينا أكثر من مرة، فقد كان مقره في كركوك حيث كان مقري أيضاً. إنه شخصية مكروهة تجتمع فيها عوامل الأمية ورهانها الوحيد على العنف. يحب البذخ والحمايات والسيطرة على الأراضي والأموال. إنه يستعير قوته من علاقة القربى مع الرئيس.

< هل يشكل خطراً على قصي مثلاً؟

- لا. علي حسن المجيد يضمن استمراره بتأدية الأدوار القذرة التي يتردد كثيرون في تأديتها. لا مانع لدى صدام من قيام علي حسن المجيد بهذه الأدوار. قصي مسألة أخرى فهو الوريث. لقد لقبه الناس علي الكيماوي وهو رجل المهمات القذرة.

الحلقة الثانية: انتفاضة الجنوب واغتيال صدام

يعترف الفريق أول ركن نزار الخزرجي الرئيس السابق لأركان الجيش العراقي ان الرئيس صدام حسين "استاذ في فن البقاء"، لكنه يرى ان الظروف قد تكون مختلفة هذه المرة. ويشير الى ما ردده صدام مرات عدة من أنه يحتفظ بالرصاصة الأخيرة في مسدسه لنفسه وان الحالمين بإزاحته لن يتسلموا، في حال نجاحهم، إلا التراب والرماد.

ويرى الخزرجي ان إزاحة صدام ممكنة بضغوط دولية تدعم انتفاضة الجيش والشعب، ويكشف ان عسكريين خططوا مرات عدة لإطاحة الرئيس العراقي، وأدى افتضاح مخططاتهم الى اعدامهم.

ويذكر الرئيس السابق للأركان ان مشاعر الذل والإهانة التي شعر بها العسكريون العراقيون اثر الهزيمة في حرب الكويت دفعت عدداً من الضباط الى الاتفاق على سحب وحداتهم الى بغداد والاستيلاء على السلطة فيها. ويضيف ان اندلاع الانتفاضة في الجنوب واستهداف الوحدات العسكرية هناك أخر التنفيذ فتسربت أخبار الخطة واستدعى صدام الضباط وأعدمهم.

كما يكشف الخزرجي ان ضباطاً من عشيرة الجبور كانوا ينوون اغتيال صدام خلال عرض عسكري في ١٩٩٠/١/٦ مستوحين حادث المنصة الذي أودى بحياة الرئيس أنور السادات، لكن باستخدام الدبابات هذه المرة. وقال ان الخطة اكتشفت قبيل بدء العرض وتبعتها اعدامات.

وتوقع ان يتولى قصي نجل الرئيس العراقي السلطة في حال غياب والده فجأة من دون سقوط النظام، لكنه استبعد ان يدوم حكم قصي طويلاً.

نص الحلقة الثانية

< كيف تقدر قوة الجيش العراقي اليوم قياساً على ما كانه في ١٩٩١؟

- دعني اقول هنا ان نقطة الضعف الرئيسية في ١٩٩١ كانت دفع الجيش الى حرب لم يردها. لذلك لم يقاتل. لم يكن الجيش يريد القتال كانت القضية واضحة لجهة عدم عدالتها. لم تكن للعراق مصلحة في الحرب ولم نكن نقاتل عدواً اعتدى علينا.

< اذا هاجم الاميركيون العراق هل يقاتل الجيش الآن.

- اشك ان يقاتل فعلياً خصوصاً اذا قطعت الاتصالات بين صدام وكبار العسكريين.

< ما هي القوة الضاربة في الجيش العراقي؟

- الحرس الجمهوري والحرس الخاص لا يزالان افضل من الجيش الذي تعب وانهك.

< ما هو حجم الحرس الجمهوري؟

- حوالى سبع فرق اي في حدود ١٥٠ الف عسكري.

< واسلحته؟

- لديه افضل اسلحة الجيش. لكن حتى الاسلحة التي في حوزته صارت قديمة ومتخلفة ولا تسمح بأي قتال شبه متكافئ.

< والقوة الجوية العراقية؟

- صفر. فلنقل انها منهكة الى حد كبير.

< هل تتوقع ان تستيقظ ذات يوم وتسمع ان انقلاباً وقع في العراق؟

- ممكن. لكن بعض التصريحات الذي يصدر في هذه الايام من نوع الدعوة الى محاكمة الضباط لا تساعد، الضابط موظف في جهاز اسمه المؤسسة العسكرية. ما ذنب القائد حين يتلقى الاوامر في بلد يعرف الجميع مصير من يعصي الامر فيه. معظم الضباط عناصر وطنية جاؤوا الى الجيش لخدمة وطنهم وهم يشاركون الشعب طموحه في قيام عراق ديموقراطي.

محاكمة صدام

< هل انت مع محاكمة صدام حسين والمحيطين به؟

- اتمنى ان نتمكن من القاء القبض عليه حياً ومعه المجموعة الضالعة في الارتكابات. هذه المجموعة المحدودة المحيطة به. هناك اسماء اوردتها منظمة "اندايت" التي حددت ١٢ اسماً بالدرجة الاولى مات احدهم وهو حسين كامل. وحددت ٢٩ من السياسيين وبعض القادة الذين تعتبر ان لهم دوراً في الايذاء. محاسبة هؤلاء منطقية. اما سائر عناصر الجيش والقوات المسلحة فيجب استقطابها لمصلحة التغيير.

هل يستسلم؟

< هل تتوقع ان يستسلم صدام حسين وانت تعرفه شخصياً؟

- هذا الامر مستبعد ربما. لكن تحدث اوضاع يصعب التكهن بردود فعل الانسان عليها شجاعاً كان ام جباناً. من الناحية المبدئية يفترض ان لا يستسلم لكنني اقول انه شخص متشبث بالحياة وقد يتوهم ان لديه فرصة للنجاة وان تكن ضئيلة في ضوء جرائمه. يحمل صدام حسين مسدسه باستمرار. وقال اكثر من مرة ان الطلقة الاخيرة فيه سيصوبها الى رأسه. اي انه لا يستسلم. وقال ايضاً ان على الناس الذين يحلمون بازاحتي ان لا يتوقعوا تسلم العراق الذي يريدون فنحن لن نترك لهم الا التراب والرماد.

< على من يرتكز نظام صدام حسين حالياً؟

- انه يراهن على شخصه اولاً وعلى اقاربه والمقربين منه وعلى القوى الامنية.

< وعلى الحرس الجمهوري؟

- نعم ولكن اعتقد بأن شرارة التغيير ستنطلق من الحرس الجمهوري بالذات.

الفساد في الجيش

< كنت رئيساً للاركان هل شعرت ان الفساد نخر الجيش العراقي؟

- بالتأكيد. تدخل الجيوش الحروب في مناخ معين وتخرج منها في آخر بعدما تكون تأثرت بعوامل عدة بينها مدة الحرب وطريقة ادارتها والجو العام. طول الحرب اثر على معنويات الجيش فضلاً عن الانتكاسات والخسائر. ثم ان الحرب استدعت اشراك جميع العراقيين تقريباً ومن الطبقات والفئات المختلفة. بعض الذين استدعيوا الى الخدمة كان له علاقات بمواقع مؤثرة وبالتالي حدثت وساطات. وعندما ارسل الجيش الشعبي الى الجبهة، ولو في مواقع خلفية، تأثرت فكرة الانضباط الصارم التي تميز الجيوش النظامية، وعندما بدأوا يرسلون الناس الى الجبهة بالقوة تقريباً حصلت مداخلات ورشاوى. وخاف بعض الناس على اولاده وسعى الى تجنيبهم المواقع الامامية والخطرة.

< هل تعتقد بأن كبار العسكريين ضلعوا في الصفقات؟

- في الثمانينات كان الجيش منشغلاً تماماً بالحرب. اذا حصلت لاحقاً فلا اعتقد بأنها حصلت على شكل واسع.

< هل هناك "صندوق اسود" لتعزيز ولاء كبار الضباط ام ان المساعدات تأتي من الرئيس؟

- لم يكن هناك مثل هذا الصندوق. لكن صدام حسين كان يساعد "اصدقاء صدام حسين" اي الذين نالوا اكثر من ثلاثة اوسمة، وهذه كانت تعتبر مكرمة من الرئيس. هذه المساعدات كانت تأتي في مناسبات عدة بينها يوم الجيش وعيد الثورة اي نحو عشر مناسبات في السنة. وخلال الحرب كان يعطي القادة سيارة كل سنة او اثنتين.

عمليات التصفية

< كيف يضمن صدام ولاء كبار العسكريين؟

- في الحرب كانت هناك غلبة للمشاعر الوطنية اذ كان هناك شعور بأن العراق يدافع عن نفسه أو أرضه. صحيح انه كان المبادر في بداية الحرب لكن ايران رفضت لاحقاً وقف اطلاق النار وانتقلت الحرب الى داخل الاراضي العراقية.

< وخارج الحرب؟

- هنا بدأت عمليات التصفية، خرج الجيش العراقي منتصراً من الحرب. عاد الضباط منها مرفوعي الرأس، فقد شاركوا في معارك طاحنة. هذا الشعور لدى كبار الضباط اثار قلق السلطة فبدأت عمليات الاعدام والتصفية والابعاد.

< التصفيات شملت عسكريين من اي مستوى؟

- قادة فيالق وفرق وألوية، اعدم كثيرون.

< هل يمكن القول ان العشرات من كبار العسكريين اعدموا؟

- عددهم اكثر من عشرات. ربما عشرات من كبار العسكريين اضافة الى مئات من الضباط الآخرين. وللانصاف اقول ان الجيش قدم الكثير من التضحيات في محاولته الانتفاض على سلطة صدام حسين.

محاولات انقلابية

< ما هي المحاولات التي تذكرها؟

- هناك محاولة مجموعة اللواء الطبيب راجي التكريتي واعدم بسببها معاون قائد القوة الجوية الفريق سالم بصّو. وهو من ابرز الضباط والطيارين في العراق. اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها اذ تسربت معلومات عن طريق جهات عربية كانت تربطها علاقات

بالعراق، وثمة من تحدث عن قيام اطراف معارضة بإبلاغ النظام. كما اعدم بسببها اللواء الركن طيار حسن خضر ملا عطو واللواء الطبيب راجي التكريتي ومجموعة كبيرة من المدنيين. وقد خطط هؤلاء لاطاحة النظام وتشكيل حكومة جديدة. اعتقد ان ذلك كان في ١٩٩٣.

حصلت ايضاً حركة سميت مؤامرة اللواء محمد مظلوم وكان طياراً. اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها واعدم أفراد المجموعة.

محاولة تكرار حادث المنصة

احبطت محاولة اثناء عرض عسكري للجيش في ١٩٩٠. اكتشفت هذه المحاولة قبيل الشروع في التنفيذ، اي قبل وقت قصير من بدء عرض عسكري في ١٩٩٠/١/٦ يحضره صدام حسين. استوحت المجموعة حادث المنصة الذي ادى الى اغتيال انور السادات وقررت تنفيذه باستخدام الدبابات. اي ان تقترب الدبابات خلال العرض وتقصف المنصة بغرض قتل صدام واعضاء القيادة. هذه المحاولة قبل غزو الكويت. شاركت في الخطة مجموعة من الضباط معظم افرادها من عشيرة الجبور. اكتشفت الخطة قبل بدء الاستعراض واعدمت مجموعة من الضباط اذ ان بينهم من ضبط متلبساً بالاستعداد لتنفيذ المهمة.

حصلت محاولة انتفاض في معسكر ابو غريب، سارعت قوات موالية من الحرس الجمهوري والحرس الخاص الى مواجهتها

ونجحت في اخمادها داخل المعسكر. وهذه حصلت في منتصف التسعينات. دارت الاشتباكات في معسكر من اعمدة البث التابعة للتلفزيون العراقي وتأثر البث لبعض الوقت. اعدم جميع المشاركين في المحاولة.

ثم هناك خطة عرقلتها الظروف. بعض القادة العسكريين الذين آلمهم ما تعرض له الجيش العراقي بفعل مغامرة الكويت قرروا ان ينسحبوا من مواقعهم وان يستمروا في الانسحاب الى بغداد نفسها لاطاحة صدام. شاءت الظروف ان تندلع الانتفاضة في الجنوب وان يتعرض المشاركون فيها للوحدات العسكرية التي راحت تدافع عن نفسها. تأجل تنفيذ الخطة بسبب الوضع القائم على الارض فتسربت تفاصيلها الى صدام. الذي ارسل في طلب الضباط المشتبه بهم واعدمهم. وبين هؤلاء اللواء الركن عصمت صابر وهو ضابط شجاع من القوات الخاصة وسبق ان عمل معي واللواء بارق حاج حنطة. كان حظ هذه الخطة سيئاً. فللنجاح لا بد للجيش من ان يلتحم بالناس. حصلت الانتفاضة ودخل الجيش في مواجهات هناك. الحقيقة ان قطعات عسكرية كانت مهيئة للزحف على بغداد وبينها قطعات من الحرس الجمهوري والقوات الخاصة.

اسباب الفشل

< هل حصلت محاولات داخل الحرس الجمهوري؟

- لا فائدة من الخوض في هذا الموضوع حالياً.

< لماذا كشفت معظم الخطط قبل تنفيذها؟

- هناك عوامل عدة اولها نظام الرقابة الامنية على الوحدات العسكرية، والنظام العراقي يعطي الاولوية لامنه ويسهر على هذا الموضوع. وبهذا المعنى هناك اختراقات كثيرة تفتح باب الوشايات والايقاع بمن يعارض النظام. والثاني حماسة الضباط العراقيين وعدم تنبه بعضهم الى ضرورة كتمان السر تماماً ابان فترة التحضيرات. والثالث هو ان النظام لا يضرب المشتبه بهم فقط بل يبادر الى ضرب العناصر التي تعتبر غير صديقة الامر الذي يمنع التقاء القوى.

اخطر المحيطين بصدام

< لم يصل اليه احد ولم تطلق عليه النار؟

- لم يصل احد.

< عبد حمود مقرّب منه؟

- جداً وهو رجل خطر جداً ويعرف الكثير من اسرار صدام. انه من اقرباء الرئيس ومن الموثوق بهم، وهو من اخطر العناصر الموجودين حالياً. وهو يهتم بأمن الرئيس وامور.

< لو اردنا تعداد اخطر الرجال في التركيبة الحالية؟

- اضافة الى صدام هناك قصي وعبد حمود ورجال المهمات القذرة على حسن المجيد.

المدنيون في الجيش

< هل كانت هناك حساسية في الجيش بين كبار العسكريين من جهة والمدنيين الذين منحوا رتباً عسكرية رفيعة او راكموا الرتب بسبب ولائهم؟

- الحساسية اكيدة. موجودة مثلاً في تشكيلات الحرس. هناك مع كل آمر عنصر مدني تابع للامن الخاص التابع لقصي صدام حسين. وظيفة هذا المدني متابعة الامور ومراقبة الآمرين والضباط والجنود ولهذا يسميه العسكريون الاستاذ. الضباط يشعرون بالانزعاج والامتعاض ويسخرون من مدنيين انتدبوا لمهام لا علم لهم بها الا من زاوية كتابة التقارير او من اشخاص دخلوا الجيش برتبة جندي ومن دون تحصيل علمي او ثقافة ثم تمت ترقيتهم الى رتبة فريق، مثلاً علي حسن المجيد، ابن عم الرئيس، كان جندياً ثم اصبح برتبة فريق اول ركن وتولى وزارة الدفاع او حسين كامل الذي كان جندياً عادياً ثم اصبح برتبة فريق اول ركن واعطي حقيبة الدفاع او عزة ابراهيم الذي يتولى الآن منصب نائب القائد العام. انه مدني اصلاً وعمله بائع ثلج ثم منح رتبة فريق اول ركن. هذه مهزلة صارخة ان تدفع جندياً جاهلاً او شبه جاهل وتمنحه رتبة عسكرية يقتضي الوصول اليها المرور بدورات وكليات حربية وخبرات نظرية وميدانية.

< هل لعلي حسن المجيد رصيد في الجيش؟

- العناصر التي اشرت اليها هي عناصر مكروهة جداً. الرصيد في الجيوش يتأتى من النجاح العسكري والانضباط الصارم وتحمل المسؤولية والاهتمام بالمرؤوسين وتقديم القدوة. تلك العناصر مكروهة لانها تعاملت مع العسكريين بعنجهية وفوقية تهين مشاعر العسكريين.

المشكلة ليست فقط في ان هذه العناصر لا تفهم طبيعة العمل وسياقاته ومستلزماته بل ايضاً اصرارها على فرض وجهة نظرها والاعتماد على القوة كاسلوب تعامل مع ميل الى استخدام العنف. لهذا كانت هناك اوامر اعتباطية لا سابقة لها في تاريخ الجيوش ادت الى العرقلة وشعور بالاهانة. انها مأساة ان يصبح الولاء المطلق الاعمى هو المعيار الوحيد وعلى حساب الكفاءة والخبرة وقواعد العمل في المؤسسات.

< هل هناك شعور بالغبن في الجيش حيال ما يسمى امساك مجموعة تكريت بالقرار؟

- واضح ان المجموعة المنتمية الى تلك المنطقة موزعة في مواقع متميزة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. لكن يجب الا نبالغ في الحديث عن دور مجموعة لجهة التأثير في القرار. القرار بيد رجل

واحد هو صدام حسين اما الرجل الثاني فهو قصي وفي السابق كان حسين كامل نجح في لعب دور الرجل الثاني.

نهب الكويت

< حكي الكثير عن عمليات نهب نفذتها عناصر من الجيش العراقي في الكويت؟

- النهب الرئيسي المنظم كان من فعل الحاشية، الاولاد والصهر وبعض الاشقاء وعلي حسن المجيد. عندما بدأ هؤلاء بهذه الممارسات شعر عدد من العسكريين ان الباب مفتوح. ثم ان جزءاً من النهب كان عملية منظمة للسيطرة على الوزارات والمعدات والامكانات. لو لم تقدم العناصر القيادية على ممارسات من هذا النوع لما تجرأ الآخرون.

المخابرات في الجيش

< من هم ابرز من تولوا المخابرات في الجيش العراقي؟

- برزان التكريتي اخ غير شقيق للرئيس العراقي. تولى المخابرات لفترة طويلة ومنح صلاحيات واسعة وكانت علاقته آنذاك جيدة بالرئيس.

طبعاً الرجل الذي بنى المخابرات هو صدام حسين بنفسه. بدأت تحت تسمية العلاقات العامة في ١٩٦٨ وتشكلت اساساً من جهاز

في الحزب يعرف بـ"جهاز حنين" وكان يشرف عليه صدام حسين قبل عودة البعث الى السلطة. كانت مهمة هذا الجهاز حماية الحزب والتعرض للآخرين. وكان يضم مجموعة من الشبان القبضايات والقساة. اعتقد بأن اول من تولى هذا الجهاز كان سعدون شاكر.

<هل تقوم المخابرات بأعمال تصفية وقتل؟

- شراسة النظام ليست موضع شك؟

< كم كان حجم التعذيب في العراق؟

- التعذيب موجود لكن في العراق هذه المسائل تتداول همساً ويفضل الناس عدم التحدث عنها. في الخارج تكشفت لنا اشياء كثيرة وبينها عمليات تعذيب بشعة. الجيش في الثمانينات كان منشغلاً بالحرب ولم نكن نتابع مثل هذه المسائل.

قصي أخطر من عدي

< ما هي أهمية دور نجله قصي حالياً؟

- قصي شخصية خطيرة جداً. إنه أخطر بكثير من عدي. يمكن القول إن عدي شخص غير متوازن. اعطي قصي صلاحيات واسعة. ادخل إلى القيادة القطرية للحزب ونائباً لوالده في المكتب العسكري للحزب. أصبح مسؤولاً عن كل الأجهزة الأمنية والمشرف

على الحرس الخاص والحرس الجمهوري. صلاحيات هائلة وهو بطبعه قاسٍ لا يتردد ولا يتورع عن شيء. مذ كان مراهقاً تدرب على القسوة المفرطة وممارسات القتل والتعذيب. تدرب على أيدي والده وسعدون شاكر المدير السابق للمخابرات. عدي دوره أقل وتضاءل أكثر بعد اصابته. لديه مجموعة "فدائيي صدام" ووسائل إعلام لكن دوره أقل من دور شقيقه.

< لنفترض ان صدام اغتيل أو توفى، من يمسك النظام؟

- قصي ولكن لفترة قصيرة. لا يستطيع الاستمرار طويلاً. شخص بعيد عن الناس، يعيش في جزيرة أمنية ويسوي أموره بالوسائل العنيفة. لم يتعلم لغة أخرى.

< وأشقاء صدام؟

- إذا غاب صدام ولم يحدث تغيير سيكون هناك صراع داخل العائلة ونزاع على الفريسة. أهمية برزان هنا أنه يسيطر على أموال العائلة. أما نفوذه في الجيش والمؤسسة الأمنية فقد تراجع كثيراً، وقد ابعد الذين كانوا أعوانه يوم كان يدير المخابرات.

< وعزة ابراهيم!

- يؤدي التحية ويكون تابعاً ذليلاً للابن كما هو الآن تابع للأب. لكن هذا النوع من الناس في القيادة القطرية سيوفر الشرعية الحزبية لتولي قصي.

< تتحدث على أساس أن موضوع الوريث محسوم؟

- نعم المسألة محسومة.

< وطارق عزيز؟

- لا يريدون منه أكثر من تهدئة النار التي تندلع ضدهم في الخارج. يستخدمونه كاطفائي للمساعدة في محاصرة النار التي يشعلها طيش النظام،

اجراءات للبقاء

< هل هناك احتمال أن يبقى صدام لفترة طويلة؟

- في هذه المرحلة أشك. لا شك أنه استاذ في فن البقاء، لكن الظروف مختلفة هذه المرة. إنه يثق بقدرته على تجاوز الصعوبات، ومن عادته تحريك الأوراق. الحقيقة انه بدأ جملة أعمال على المستويين الخارجي والداخلي. على المستوى الاقليمي يحاول تقديم رشاوى للأنظمة العربية عبر الصفقات التي تستنزف أموال العراق. على المستوى الدولي قبل القرار ١٤٤١ المتعلق بعودة المفتشين. في الداخل اطلق السجناء أو معظمهم. كما أتوقع أن يلغي مجلس قيادة الثورة وأن يحاول تشكيل حكومة من أحزاب يمارس بعضها معارضة خفيفة، أي تضم عناصر سنية وشيعية وكردية، وأن يحاول تخفيض بعض صلاحياته مع السماح بقدر من الحياة الحزبية وحرية الصحافة، وأن يعد دستوراً أقل تشدداً، أي أنه

يريد أن يقول للغرب تخليت عن أسلحة الدمار الشامل وسلكت طريق التعددية والديموقراطية.

سجناء نهشتهم الكلاب

< ألا تعتقد أن صدام محبوب من قبل قسم من العراقيين؟

- لا. ربما أحبوه سابقاً. العراقيون يخشونه ولا يحبونه. لم تبق عائلة عراقية لم تتعرض للأذى. هيمن على العراقيين لأسباب عدة، بينها الفترة الطويلة التي دامها عهده في الحزب والدولة والأجهزة، ثم أنه لا ينتظر الأدلة لضرب من يشتبه بهم، وهذا يزرع الرعب. إذا لم يكن راضياً عنك تشعر أنك دخلت دائرة القلق أو الخطر. والعنصر الآخر اعتماده أسلوب العقوبات الجماعية. العراقيون أهل الثورات والانتفاضات. في السابق كان الضابط يعتقد بأنه إذا حاول القيام بانقلاب سيعدم هو فقط. اليوم يفكر في ما سيلحق بعائلته برمتها إذ سيقتل الضابط بعد سجن وتعذيب. هناك سجناء نهشتهم الكلاب حتى الموت. ثم ينكل بعائلته كاملة وربما تعرض النساء، وهذا لدى العراقي شيء كبير وخطير. بعدها يبعد أقاربه من المناصب والمواقع. هذا يشمل أبناء العم والخال. هذا الاسلوب جعل العراقيين يخافون. في السابق كان الشخص يلتجئ إلى عائلته أو عشريته فتحميه. الآن يطالبونه بالابتعاد عنهم كي لا يذبحوا بسببه. رعب هائل. حتى مع الناس القريبين منه يتعامل صدام بأسلوب الاذلال وعلى غرار ستالين أيضاً. يأمر بتحويل الوزير إلى كاتب في مستودع أو مدرسة ويرغم

على الدوام في عمله الجديد. قائد فيلق يجعله آمر فوج. يكسر معنويات الناس ثم يتفضل عليهم ويعيدهم إلى مواقعهم أو إلى أعلى ثم يزيحهم. تحطيم للنفوس. أحياناً يسجن الشخص ويعذب ثم يعاد إلى منصب متميز. هذا الأسلوب فرض حالة عامة من الرضوخ.

< لو طلب منك أن تقول للضباط والعسكريين العراقيين كلمة، ماذا تقول فيها؟

- أقول إن القادة والضباط والعسكريين عناصر وطنية جاءت إلى القوات المسلحة لخدمة الوطن وهي تعرف ماذا يجري الآن. أعرف أنها تتعرض لضغوط كبيرة من النظام، لكنني اعرف ان هذه العناصر مستعدة في الوقت المناسب واللحظة المناسبة أن تكون طليعة التغيير بانضمامها إلى الشعب العراقي.

الحلقة الثالثة: اجتياح الكويت

هذا يحدث في العراق وحده. صباح الثاني من آب اغسطس ١٩٩٠ رن الهاتف في منزل الفريق اول ركن نزار الخزرجي رئيس اركان الجيش العراقي. كان المتحدث سكرتير عام القيادة العامة الفريق علاء الجنابي الذي طلب من رئيس الاركان التوجه الى مقر القيادة. وفور حضور الخزرجي عاجله الجنابي بكلمات ثلاث: "اكملنا احتلال الكويت". وبعد ربع ساعة وصل وزير الدفاع عبدالجبار شنشل فزف اليه الجنابي النبأ. هذا يحدث في العراق وحده. يأمر الرئيس باجتياح بلد مجاور ولا يعرف وزير الدفاع ورئيس الاركان الا بعد اكتمال المهمة.

روى الخزرجي ان خروج العراق منتصراً من حربه مع ايران شكل نقطة تحول خطيرة في شخصية صدام حسين المسكون بهاجس صورته في التاريخ.

وقال ان صدام شعر بالخيبة من مواقف الدول القريبة والبعيدة معتبراً ان العراق الذي منع ايران من تصدير ثورتها وارغمها على الانكفاء الى الداخل لم يعامل بعد الحرب بما كان يستحقه. واضاف ان الخيبة تحولت مرارة وغضباً بعدما اعتبر صدام ان جهات دولية شجعت الكويت على المساهمة في رفع اسعار النفط. وحكى قصة اللقاء الاول مع صدام بعد الاجتياح وملابسات عزله من رئاسة الاركان بعد اسابيع عندما قال: "لن نتمكن من القتال وسنخسر الحرب" فرد صدام بانهاء الاجتماع وارسل اليه كتاب عزله.

وقال الخزرجي ان صدام تولى شخصياً وضع خطة اجتياح الكويت في حضور صهره حسين كامل وابن عمه علي حسن المجيد.

نص الحلقة الثالثة

< ماذا تغير بعد وقف الحرب العراقية . الايرانية وشعور صدام انه خرج منتصراً؟

- طبعاً نهاية الحرب بالشكل الذي حدث لم تكن متوقعة حتى من قبل صدام حسين. لهذا حصل عرس في العراق استمر فترة. نهاية الحرب على هذه الصورة كانت نقطة تحول خطيرة في شخصية صدام حسين. شعر انه بطل الامة وحاميها وليس حامي العراق فقط. اعتبر نفسه حامي الخليج. وهو كان يردد في السابق ان هذه الامة تحتاج الى من يدافع عنها لان الآخرين غير قادرين. وكان يعتبر ان المطلوب هو تصليب الموقف العربي وان الدول العربية وزعماءها لا يتمتعون بالقدرة اللازمة على مواجهة تحديات كبرى في عالم لا يفهم الا لغة القوة.

< كم كان ناقماً على سورية بسبب موقفها من الحرب؟

- كان ناقماً بشدة ويصنف نظامها في طليعة الاعداء. لم يكن

يشرك العسكريين في الاحاديث السياسية التفصيلية. لكنه كان يمرر عبارات تعبر عن ألمه من موقف بعض الدول العربية خصوصاً انه وضع الصراع في سياق الصراع بين الامة العربية

والفرس. لومه يشمل سورية بالدرجة الاولى ثم ليبيا والجزائر. كان يعتبر السعودية والكويت ودول الخليج والاردن والى حد ما مصر، بعدما عمل على اعادتها الى الجامعة العربية، دولاً ذات موقف جيد.

٣٥٠ بليون دولار

< ماذا حدث بين ١٩٨٨ وغزو الكويت وقد كنت رئيساً لاركان الجيش؟

- كان صدام يعتبر ان نجاحه في اضعاف الثورة الايرانية وقدرتها على الامتداد الى خارج حدودها عمل وفّر الحماية للعراق ودول الخليج واقطار عربية اخرى. كان يتحدث عن اهمية المحافظة على البوابة الشرقية للامة العربية. اعتبر ان هذا الدور الذي كلف العراق كثيراً يجب ان يقابل بشعور عميق بالعرفان والامتنان من الدول العربية. توقع ان يهبّ العرب لمساعدة العراق بعد الحرب وان يقدموا مساعدات هائلة. توقع ايضاً ان يشعر العالم الغربي نحوه بالامتنان لان هذه الثورة معادية له. وتوقع الشيء نفسه من المعسكر الاشتراكي لان الثورة الايرانية كانت تنذر بزعزعة استقرار الجمهوريات الآسيوية السوفياتية. لفهم هذا الشعور يجب ان نتذكر ان العراق دخل الحرب ولديه فائض مقداره ٤٣ بليون دولار وخرج منها مديناً بحوالى ٧٠ بليون دولار نحو نصفها للدول العربية. كان يتوقع مساعدة اكبر.

خرج العراق منتصراً من الحرب لكن بمشاعر الجريح. على مدى ثماني سنوات توقف كل تطور وعادت قطاعات كثيرة الى الوراء. ديون ضخمة والمشاريع متوقفة والبطالة عالية. اصيب صدام بخيبة عميقة من العرب والعالم وتحولت الخيبة مرارة. كان يتوقع ليس فقط ان تقوم الدول بالغاء ديونها بل ايضاً ان تقدم مساعدات. العراق انفق في الحرب اكثر من ٣٥٠ بليون دولار قدمت الدول العربية منها ٤٠ بليوناً. اعتبر صدام ان العراق تحمل العبء نيابة عن الآخرين ايضاً. رأى صدام ان العراق هو السد امام حلم ايران بتصدير الثورة وان انهياره سيسقط الانظمة في المنطقة. واعتبر العراق نقطة توازن ومصدر مناعة للعرب.

في هذا الجو بدأ الحديث عن خروج دول عربية عن الحصص المحددة لها في سوق النفط ما ادى الى هبوط الاسعار. ردد ان عائدات العراق من النفط لا تكفي لخدمة فوائد الديون. استغرب اقدام الكويت والامارات على زيادة الانتاج مع علمها ان المتضرر الكبير هو العراق. بعدها تصاعد الحديث عن قيام الكويت بسحب النفط من الجزء العراقي من حقول الرميلة مستفيدة من طبيعة الارض هناك. امتعض بشدة وادعى ان الكويت تسرق النفط العراقي. توصل الى استنتاجين: الاول ان ثمة جهة تستخدم خفض سعر النفط لاضعاف العراق، واتهم اميركا والدول الغربية بالايحاء بهذه السياسة. والثاني اعتبر الخطوة الكويتية بسحب النفط العراقي طعنة له. والحقيقة ان صدام لم يستقبل بارتياح استثناء العراق من عضوية مجلس التعاون الخليجي ورأى ان ذلك

نوعاً من الرغبة في ابعاد العراق او عزله ولهذا شكل لاحقاً مجلس التعاون العربي هذا اضافة الى التغيير الذي حصل في شخصيته.

عقدة بطل الامة

< كيف لمستم التغيير؟

- منذ الساعات الاولى لوقف اطلاق النار، احتشدت الجماهير للاحتفال وأطل عليها بالملابس العربية ونظراته تتجه الى ما بين الارض والسماء. تغير تغيراً حاداً. لدى صدام عقدة بطل الامة. الخلود هاجس عنده. يريد دخول التاريخ واحتلال موقع استثنائي فيه حتى وان دخله بشكل سيئ.

من يعرف صدام يعرف انه لا يؤمن بالقادة العاديين. يعتبرهم عابرين في حياة دولهم وشعوبهم. كان يسخر ويقول: "الرئيس الاميركي الذي يفوز بنسبة ٥١ في المئة اي قرارات حاسمة سيتخذ، انه رئيس ضعيف. القرارات المصيرية يتخذها رجال اقوياء على رأس سلطات قوية ويملكون القدرة على تنفيذ القرارات".

دروس ستالين

< بمن كان معجباً من الزعماء؟

- كان معجباً بستالين واسلوب ادارته للحرب العالمية الثانية. وزع على القادة العسكريين كتاباً سوفياتياً عن تلك الحرب يتحدث عن براعة ستالين في ادارتها.

الحقيقة ان صدام كان يعتبر نفسه قائداً عظيماً. حاول ان يقلد قسماً من خطوات ستالين خلال الحرب لكنه قلدها بشكل مشوه. وجود المندوب الحزبي او المفوض السياسي مع الفرق العسكرية مأخوذ من هناك، ووجود هؤلاء المندوبين الذين يكتبون مباشرة الى القائد العام ازعج قادة الفرق والفيالق. قلده في الامساك بكل شيء. لم يترك الحرية الكافية للقادة الميدانيين. وضع كل الامور الاستراتيجية في يده على غرار ما فعل ستالين. كان يعتبر انه قادر ان يكون اكبر من جمال عبدالناصر.

< عقدة التاريخ كبيرة لديه؟

- يعيشها في شكل يومي. لا تستغرب ان يكون يعتقد انه ابرز قائد منذ ايام صلاح الدين.

< ولديه مخاوف امنية ووساوس كستالين ايضاً؟

- ليس هناك في العالم من هو ابرع منه في موضع الامن وضرب الاخطار المحتملة ضده وضد نظامه. انه يحب هذه المسألة وتأخذ جزءاً غير يسير من وقته. انه بارع وخبير ومجدد.

< من يضمن امنه؟

- الاقارب واصحاب الولاء المضمون الذين اغرقهم بأفضاله ومع ذلك يبدلهم باستمرار. اقرب الاشخاص لديه لا يعرفون بتنقلاته واماكن وجوده.

انا كنت رئيساً لاركان الجيش. كنا نستدعى لمقابلته فتأخذنا سيارات معينة مع ستائر ومن ثم يسيرون في اتجاهات معينة ثم نجد انفسنا في قصر او مقر. يهوى هذه الاشياء. يمكن ان يستقبلك في القصر او في البر او في كارافان او في بيت شعر. لا يقيم في مقر واحد. اذا اراد الانتقال يبلغ الحراس في الوقت المناسب. اعطى الشوارع ارقاماً وصار يقول لحراسه ان يأخذوه الى الشارع ٤٧ ومنه الى ٢٥ وهكذا. وحين يخرج تخرج في الوقت نفسه مجموعة مواكب متشابهة. احياناً يدير امنه شخصياً.

< هناك من يلعب دور البديل لصدام؟

- نعم هناك اكثر من واحد. لكن اذا اقتربت منهم تعرف انهم ليسوا صدام. هناك مبالغات في شأنهم. يستخدمون في مواكب التمويه لا في استقبال وفود.

< يخاف من ان يدسّ له سم في الطعام؟

- لا يأكل الا من الاكل الذي يصطحبه معه وهناك من يفحص الاكل ويتذوقه. هو بالمناسبة يحب الطعام. لاحظته يأكل ببطء وشهية.

< هل يمزح؟

- يحب الضحك والنكات. وفي الغالب يمازح المقربين منه مثل عزة ابراهيم ولطيف نصيف جاسم ويضحك وتهتز اكتافه. ليس مزعجاً

في الجلسة. بالمناسبة انه رجل صبور يستمع في الاجتماعات حتى للكلام المكرر.

< هل يستخدم تعابير قاسية؟

- لا. انه مؤدب لا يستخدم الالفاظ الخشنة. لائق لكنه مهيمن وصاحب سلطة.

< متى شعرتم ان الكويت يمكن ان تستهدف؟

- قبل ما يزيد على شهر خرج التوتر الى العلن. الغريب انه خلال مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بغداد قبل الحرب بحوالى اربعة شهور منح صدام امير الكويت الشيخ جابر الاحمد ارفع وسام عراقي.

< لكنه تصرف في القمة وكأنه عبدالناصر الجديد؟

- تصرف وكأنه اكثر من عبدالناصر. قلت ان التوتر ظهر. بدأ الاعلام يكتب عن زيادة اسعار النفط وسرقة النفط. جرت اتصالات لم تبدد التشنج. لكن لم يدر في خلد احد ان العراق الذي يدعو الى وحدة الامة ويدعي انه دافع عن الامة يمكن ان يقوم بغزو الكويت ويشطب دولة عربية من الوجود.

< هل هناك في ثقافة الجيش العراقي ما يعتبر الكويت جزءاً من العراق؟

- هناك من يرجع الى التاريخ ويقول ان الكويت كانت جزءاً من ولاية البصرة في العهد العثماني. وفي زمن الملك غازي كانت هناك دعوة الى ضم الكويت الى العراق. وظهرت دعوة مشابهة في ايام عبدالكريم قاسم. هذا الموضوع موجود. لكن الحزب الحاكم في العراق هو حزب البعث الذي يدعو الى وحدة عربية. العراقيون يؤمنون بالوحدة وليس بالضم القسري.

< هل لاحظتم كرئيس للاركان تحركات عسكرية؟

- بحسب التقسيم المعروف فان الحرس الجمهوري يتبع مباشرة القائد العام اي صدام. الحرس الجمهوري كان يتدرب عادة في مناطق مختلفة في العراق. في تلك الفترة كانت التدريبات تجري في منطقة البصرة وفي اطار التدريبات السنوية. لذلك اجتاح الكويت مستخدماً الحرس الجمهوري. لم يتنبه احد لان التدريبات اعتبرت عادية.

هنا حصل شيء غريب. كان عبدالجبار شنشل وزيراً للدفاع وكنت رئيساً للاركان ولم نفاتح لا من قريب او بعيد بموضوع اجتياح الكويت.

النبأ الصاعقة

< متى عرفت بالغزو؟

- كنت نائماً في منزلي ليلة الاحداث. اتصل بي صباحاً سكرتير عام القيادة العامة الفريق علاء الدين الجنابي وطلب ان اذهب الى القيادة العامة وحين دخلت مكتبه قال: "اكملنا احتلال الكويت". سألت كيف؟ فقال: "الحرس الجمهوري والقوة الجوية وطيران الجيش انهوا احتلال الكويت". بعد ربع ساعة وصل وزير الدفاع عبدالجبار شنشل وتم ابلاغه بالطريقة نفسها. تصور ان الجيش يدفع في مغامرة من هذا النوع من دون علم وزير الدفاع ورئيس الاركان.

اصبنا بصدمة كبيرة. فالبلد المستهدف بلد عربي مجاور ونحن نقول اننا قاتلنا ايران ليس دفاعاً عن العراق فحسب بل عن العرب ايضاً ثم انه كان واضحاً لي ان المسألة لن تمر من دون حساب خالجني شعور ان الحساب سيطرح مصير العراق برمته.

موعد مع القائد

بعد ثلاثة او اربعة ايام حصل اللقاء الاول مع صدام حسين. استدعينا، وزير الدفاع وأنا، إلى لقاء ونقلتنا السيارات إلى منطقة الرضوانية. وبعد دوران في شوارع جانبية كان هناك كارافان. دخلناه فوجدنا خرائط معلقة على جدرانه. بعد ربع ساعة دخل

صدام حسين. قال: "أرجو أن لا تزعلوا، أنا لم أخبركم بعملية تحرير الكويت وهذا لا يعني انني لا اثق بكم. فعلت ذلك لسببين: الأول هو انني لو ابلغتكم لقمتم بسلسلة من الاجراءات من بناء الخطط إلى الاستعداد كوزارة وهيئة أركان وكان من شأن ذلك أن يلفت النظر ويكشف السر، وأنا أردت أن تكون العملية مفاجئة. الثاني انني حررت الكويت بالقطعات التابعة لي مباشرة وليس قطعاتكم.

بعدها قال لي: "فريق نزار، اريد أن أسحب الحرس الجمهوري وأريد منك استطلاع منطقة الكويت ووضع قطعات من الجيش مكان الحرس الجمهوري الذي سنسحبه إلى المنطقة الحدودية ليكون احتياطاً".

لم يبد صدام مبتهجاً في الاجتماع، كانت ردود الفعل الدولية شديدة.

ذهبت إلى الكويت وقدرت حجم القطعات التي احتاجها للحلول مكان الحرس الجمهوري ونفذنا الخطوة. في اليوم التاسع للاجتياح كتبت تقريراً استراتيجياً ورفعته إلى القائد العام ونائبه ووزير الدفاع. تحدثت في التقرير عن الحدث وما هي التغييرات الهائلة التي حصلت في المنطقة، وماذا يمكن أن يحدث على مستوى المنطقة والعالم. وأشرت إلى أن ما قام به العراق سيؤدي إلى حرب كبيرة قد تكون شبيهة بحرب عالمية صغيرة. وقلت إن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة ستشارك في هذه الحرب

ومعها دول عربية، وان هذه الحرب قد تتخطى استعادة الكويت إلى انهاء العراق.

حين يغضب الرئيس

وبعد أربعة أسابيع من الاجتياح كتبت تقريراً عملياتياً بينت فيه كيف ستحدث المواجهة والاتجاهات التي ستسلكها قوات التحالف، مقارنة بين إمكانات الجانبين. وأشرت بشكل واضح إلى أن الحرب واقعة بنسبة مئة في المئة، وسنخسر هذه الحرب. ووضعت في التقرير توصية بأن ننسحب ونحل المشكلة بالوسائل الديبلوماسية.

في ١٨ أيلول سبتمبر ١٩٩٠، أي بعد نحو ستة أسابيع من الاجتياح، استدعانا صدام إلى اجتماع حضره وزير الدفاع وأنا وقائد القوة الجوية ومدير الاستخبارات، كما حضر سكرتير عام القيادة العامة الجنابي. منذ بدء الاجتماع بدا صدام منزعجاً. قال صدام: "فريق نزار أنت أعددت تقريرين اريدك أن تناقشهما".

بدأت في عرض التقريرين وأشرت إلى أن الإمكانات ليست متكافئة أبداً، ما يعني أن ليست هناك فرصة للقتال وسندمر في اماكننا. قلت إنه ستكون هناك غارات شاملة تستهدف تدمير المواقع الحساسة والبنية التحتية لفترة لا تقل عن شهر قبل أن يبدأ الخصم بضرب القوات عبر هجوم بري.

انفعل صدام وقال: "شنو، ليس هناك هجمات جوية تدوم شهراً، مجرد يوم أو اثنين وتبدأ المعركة الأرضية وفيها سنلقنهم الدرس". أجبته: "سيدي، لن تتاح لنا فرصة مثل هذه المواجهة، سيدمرون الجسور والثكنات والمصانع وفي النهاية سيرتدون على القوات الأمامية".

كنت لا أزال في الجزء الأول من حديثي حين وقف مستاء، فوقفنا كلنا وخاطبني قائلاً: "فريق نزار لماذا لا تقول صراحة أنك لا تريد أن تحارب". آلمني الكلام وأنا ضابط محترف أتحدث بصراحة عن موضوع يطرح مصير البلد. قلت له بعدما فاجأني كلامه: "سيدي، أنا عسكري وأمضيت عمري في الجيش ورئيس أركان الجيش ولهذا السبب يجب أن أقول لكل الحقيقة. سيدي الحقيقة أسوأ مما ذكرت". فرد: "إذاً ينهى الاجتماع". ظهر الغضب واضحاً في عينيه.

خرجت من الاجتماع متعباً ومتألماً. بلد يندفع نحو الحرب والرجل المسؤول لم يأخذ في الاعتبار انني أتكلم انطلاقاً من حبي لوطني واستناداً إلى خبرتي. خاطبني صدام وكأنني خائف. في الحقيقة كنت خائفاً على بلدي، فأنا كعسكري كنت أعرف ان لا طاقة لنا على المواجهة.

في اليوم التالي، وبعد الدوام، جاءني أحد الأشخاص الذين يعتمدهم صدام في نقل رسائله الشخصية واسمه ماجد ويعمل في القصر. سلمني رسالة اقالتي من منصب رئيس أركان الجيش. جاء في الرسالة ما أذكره: "من صدام إلى الفريق أول نزار الخزرجي،

يصعب عليّ تبليغ الرجال والعسكريين منهم بصفة خاصة بتغيير مواقعهم. المرحلة الحالية تتطلب تغيير موقعك. نشكرك على كل الجهود والفعاليات التي قمت بها في حرب القادسية. عينت الآن في منصب مستشار في رئاسة الجمهورية. نتوقع أن تقوم بهذا الواجب كما عهدناك سابقاً. صدام حسين".

الحقيقة أن المنصب الجديد رمزي وبلا أي قيمة ولذلك لم أدوام. اتصلت بالسكرتير العام للقيادة العامة وقلت له: "أنا موجود في البيت إذا كان لديكم ما تريدون رأيي فيه ارسلوه إليّ أو احضر اليكم إذا كان هناك ما يمكن أن أعمله".

وهذا كان وضعي، أي مستشاراً عسكرياً في رئاسة الجمهورية، إلى أن غادرت البلد في ١٩٩٦.

< أين كنت خلال الحرب؟

- كنت في بغداد. ولم استشر بشيء.

< من وضع خطة غزو الكويت؟

- ما عرفته هو أن صدام وضع الخطة شخصياً في حضور حسين كامل وعلي حسن المجيد. ربما استعانوا بآخرين من المقربين لمسائل تفصيلية، لكن الخطة كانت بين الثلاثة.

< ماذا تغيّر في تعامل النظام معك بعد اقالتك؟

- سحبوا الحرس الخاص الذي كان بين عناصره أقارب لي وكان يتولى حراسة منزلي. نقلوا حراسي إلى مكان آخر وجاؤوا بحراس من "الأمن الخاص" الذي كان يديره قصي. ووظيفة الحراس الجدد كانت متابعتي ومراقبة حركاتي. وضعوا سيارات من "الأمن الخاص" في أول الشارع وراقبوا هاتفي. عملياً صرت في ما يشبه الإقامة الجبرية من دون الإعلان رسمياً عن هذا الاجراء. كانت المراقبة شديدة.

< ماذا كان شعورك وأنت ترى الجيش العراقي يهزم؟

- صدقني لا اريد أن أذكر تلك الأيام الصعبة. أيام مؤلمة ومذلة توفر درساً كبيراً. دمر البلد وأهين الرجل لا يهمه شيء.

< هل تعتبر قصة الكويت برمتها خطأ فادحاً؟

- اعتبرها خطأ مرعباً.

< كم مرة زرت الكويت قبل اقالتك؟

- ثلاث مرات على ما اذكر.

< هل خطط لاحتجاز العائلة الكويتية الحاكمة؟

- طبعاً كان يتمنى.

جفن من يرف أولاً

< هل كان يعتقد أنه سيقيم بصورة دائمة في الكويت؟

- نعم. لم يتوقع أن تحدث حرب. حساباته خاطئة. كان يعتقد أن الغرب يهمه النفط ولا يمانع أن يكون ربع احتياط العالم في يد رجل قادر على فرض الاستقرار. وهو كان مستعداً أن يقدم النفط للغرب بتسهيلات. تعامل مع الأزمة وكأنها مباراة في لي الأذرع. قال ذات مرة ان المسألة تدور حول من سيرفّ جفنه اولاً. مفهوم المبارزة القديم. لا يعرف ان العالم تغير وان هناك الامم المتحدة

ومصالح الدول الكبرى حتى العلوم العسكرية تغيرت كثيراً.

الحقيقة انه غير مدرك للسياسة الخارجية. ضعفه القاتل في هذا المجال. لا يعرف ماذا تغير في الصورة الدولية. بارع في الامن الداخلي والهيمنة على الناس لكنه جاهل في السياسة الخارجية. تصور انه استغرب ان القادة العرب لم يقفوا معه بعد اجتياح الكويت وراح يتوقع ان تثور شعوبهم عليهم لاسقاطهم.

عدم معرفته بالعالم الخارجي يدفعه الى قراءة الاشارات في صورة مغلوطة. هذا ما حدث في لقائه مع الديبلوماسية الاميركية ابريل غلاسبي. كانت غلاسبي تتهيأ للذهاب في عطلة. طلبت عبر وزارة الخارجية ووجدت نفسها امام الرئيس. شرح لها الوضع وقال لها ان دولاً في الخليج تحاول تجويع العراق وتركيعه وهذا عمل يمكن ان يلقى رد فعل شديد من قبلنا. لم تكن لدى غلاسبي توجيهات

محددة فردت عليه بعبارات عامة. قالت له ان سياسة الولايات المتحدة تقوم على عدم التدخل في الخلافات بين الدول العربية ولا تعتبر نفسها معنية بها لانها يمكن ان تحل بينكم. فسّر كلامه على انه ضوء اخضر. تصور انه اعتبر بداية الحرب نوعاً من الغدر وقال: "لقد غدر الغادرون".

< تصور ان المسألة تصل الى شفير الحرب ثم تحصل تسوية؟

- نعم. عندما طلب وزير الخارجية الاميركي جيمس بيكر الاجتماع بطارق عزيز لم يفهم ان هذا الانذار ستتبعه الحرب. اعتبر اميركا ضعيفة وبدأت ترضخ وان الوقت مناسب للتشدد وتحسين الشروط. اعطى تعليماته الى طارق عزيز بالتصلب. بيكر لم يخف نوايا بلاده قال لعزيز ان العراق سيدمر وسنعيدكم الى عصر سابق.

< ما قصة تنقله بين الملاجئ؟

- هذا اسلوبه. لا احد يعرف مكانه.

< وفوجئ بموقف السوفيات؟

- نعم، قال له السوفيات كيف تريدنا ان نجازف بحدوث حرب عالمية وانت لم تستشرنا حتى في عملك هذا.

< ما هي قصة انتفاضة الجنوب والشمال بعد حرب الكويت؟

- كان القدر مضغوطاً جداً وحين رفع الغطاء حدث ما حدث. حتى الشعور الوطني لا بد من توجيه التعبير عنه وضبطه كي لا يذهب في مسارات مخالفة لما هو مقصود. للاسف استهدف المنتفضون في الجنوب الجيش والمؤسسات. وبدلاً من ان ينضم الجيش الى الانتفاضة تم التعرض له فاشتبك مع الناس. استهدف الجيش للاعتقاد بانه على ولائه لصدام في حين انه كان مهيئاً للانتفاض. معلوماتي ان قادة وآمرين قرروا الزحف على بغداد لاسقاط صدام رداً على مشاعر الذل وممارسات الخداع لكن حدوث الانتفاضة وتأخر التنفيذ فضحا الخطة.

< من قاد عملية قمع انتفاضة الجنوب بعد حرب الكويت؟

- تولى قمع الانتفاضة في الجنوب الحرس الجمهوري وقوى امنية وقسم من قطعات الجيش. في تلك المرحلة وزع صدام حسين اعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب على المناطق واعطاهم صلاحيات. وبين هؤلاء عزة الدوري وطه ياسين رمضان وحسين كامل. الى الجنوب ذهب محمد الزبيدي الذي تولى لاحقاً رئاسة الحكومة. الى الشمال ذهب عزة الدوري، الى كربلاء والنجف طه ياسين رمضان وحسين كامل. وزع صدام اعضاء القيادة في اتجاهات عدة. ووقعت صدامات في مدينة صدام في بغداد ادت الى خسائر في صفوف الطرفين لكنها قمعت في النهاية.

الحلقة الرابعة: نهاية الحرب مع ايران

في ١٤-٧-١٩٨٧ تلقى الفريق أول ركن نزار الخزرجي قائد أحد الفيالق اتصال ينبئه بتعيينه رئيساً لأركان الجيش. ولم تكن المهمة سهلة. أجزاء من الأرض العراقية ترزح تحت الاحتلال الايراني. الخسائر البشرية مرتفعة والموارد مهددة بالنضوب. الجيش العراقي يخوض معارك دفاعية على أرضه والحرب تنذر بالامتداد سنوات جديدة.

بعد أربعة أيام من التعيين استقبل الرئيس صدام حسين الرئيس الجديد للأركان الذي أدار بمهارة مجموعة من المعارك الصعبة. ذكره الخزرجي بدراسة أعدها في ١٩٨٣ تقترح اعتماد استراتيجية تعرضية، أي الانتقال من الدفاع الى الهجوم. وقال انه يحتاج الى سنة لإنهاء الحرب بنصر عراقي بعد اعادة تأهيل الجيش بموجب الاستراتيجية الجديدة. لهذا السبب ترتدي شهادة الخزرجي عن إنهاء الحرب العراقية - الايرانية أهمية استثنائية، فكل معارك دفع القوات الايرانية الى خارج الأراضي العراقية تمت في عهده في رئاسة الأركان.

نص الحلقة الرابعة

< ما هي أهمية معركة الفاو؟

. تنبع أهمية الفاو من كونها تمثل خنجراً هائلاً في خاصرة العراق، فاحتلالها قطع العراق عن منطقة الخليج العربي ومثل تهديداً للدول التي تساندنا، مثل الكويت والسعودية وغيرهما. وكان من

الضروري البدء بعملياتنا التعرضية في هذا القاطع الذي نجحنا في تحريره خلال ٤٨ ساعة.

< من وضع خطة تحرير الفاو؟

- وضع خطة تحرير الفاو رئيس أركان الجيش الذي تقع تحت امرته تقليدياً القوات المسلحة من القوة الجوية والبحرية والاستخبارات، إلا أنه بعد مجيء صدام حسين ارتبطت القوة الجوية به مباشرة، وهكذا الحال مع البحرية والاستخبارات والتوجيه السياسي والحرس الجمهوري والتصنيع العسكري، بمعنى أن رئاسة أركان الجيش كانت تعني عملياً قيادة الفيالق الأرضية. الخطة الأرضية أتت من عندنا فيما كنا نسمع عن تحرك القوة الجوية وأسلحة الدمار الشامل وما ترتب عليها من حرب المدن من الراديو، وهكذا الحال حتى مع الغارات الجوية.

< هذا يعني انكم لا تتولون التنسيق بين مختلف الأسلحة؟

- هذا صحيح، فقد كان كل شيء محصوراً بالقيادة العامة، أما رئيس الأركان فهو القائد الفعلي للجيوش البرية ولم تكن له سلطة فعلية على القوة الجوية مثلاً أو البحرية وهكذا...

< إذاً تغيرت الأمور بعد مجيء صدام حسين؟

- نعم. إنها بالنسبة إليه قضية أمنية. لا يريد لأحد أن يعرف عن كل أسلحة الجيش ويضعها تحت يد واحدة، وكان هذا الاسلوب

وراء الخسائر البشرية والمادية الكبيرة التي تكبدناها في الحرب. أما ما يتعلق بالخطط الجوية والبحرية والصاروخية فقد كانت توضع وتنفذ من قبل القيادة العامة، ومن دون التنسيق معنا أو علمنا. وكان واجبي يدور حول تحرير الأرض ووضع الخطط للفيالق من أجل التحرك وازاحة القوات الأرضية الإيرانية من تلك المنطقة.

< هذا يعني أن صدام حسين كان يتصرف كجنرال عبر تعاطيه في كل هذه المسائل؟

- نعم، يطلب خططاً من القوات البرية والجوية والبحرية والصواريخ...، ولديه هيئة أركان وعبر جمع كل هذه الخطط يبلور خطة شاملة.

< كيف جرى تبليغك بساعة الصفر؟

- لا هذه موجودة في الخطط، إلا إذا كانت لا تتلاءم مع الطقس مثلاً، وهذا ما جرى في تحرير الفاو.

< كان نائب القائد العام وزير الدفاع الفريق أول ركن عدنان خيرالله موجوداً في تحرير الفاو، ما هو دوره؟

- لم يكن له دور كبير، بل بالعكس إذ سلب جزء من دوره عبر حدوث أشياء من دون علمه، ومثلما ذكرت كنا نسمع ضربات الصواريخ والغارات من الراديو.

< الشخص الذي كان يعرف كل شيء هو شخص وحيد إذن؟

- هو القائد العام وهو المسؤول عن إدارة الحرب. بعد معركة الفاو جرت ست معارك، تحرير الشلامجة شرق البصرة بعد شهر، وجزيرة مجنون الغنية بالنفط، ومنطقة الطيب الزبيدات شرق العمارة، وسانوية كيلان غرب شرقي خانقين، ثم كانت الفيالق الشمالية تتحرك في منطقة حاج عمران وماو وجوارته، يعني في ١٩٨٨/٨/٨ استطعنا أن ندحر الإيرانيين ونخرجهم خارج الحدود العراقية ولمسافات بعيدة، وهو ما جعل الخميني يوافق على وقف النار، وهكذا توقفت الحرب.

< هل يعني هذا هزيمة للجيش الإيراني؟

- دحر الجيش الإيراني اندحاراً كبيراً. ولعلك تذكر أن الخميني صرح وقتها انه يفضل تجرع السم على التوقيع على وقف النار، لكنه اضطر إلى الموافقة.

< هل كانت هناك خبرات أجنبية في معركة تحرير مدينة الفاو؟

- اطلاقاً وكل ما يقال كذب وعارٍ من الصحة؟

< يعني لم يكن معكم خبير سوفياتي؟

- اطلاقاً... اطلاقاً.

< ولا حتى خبير عربي؟

- أبداً. لقد تحررت الفاو من دون علم بعض أعضاء القيادة. نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزة إبراهيم سمع الخبر من الإذاعة، فصدام حسين عندما يقوم بعمل يكلف كل جهة على حدة بواجبها ولا يخبر الآخرين.

< ماذا عن استخدام السلاح الكيماوي في هذه الحرب؟

- استخدمه الطرفان وهذه حقيقة لا يمكن انكارها. إيران استخدمته بشكل بدائي. استخدام العراق له جاء أكثر تطوراً وعبر ضربات صاروخية وهجمات جوية في العمق. ومعروف أن الأمر باستخدام السلاح الكيماوي من صلاحية القائد العام وهو صدام.

< هناك من يقول إن الولايات المتحدة ساعدتكم في تحرير مدينة الفاو، عن طريق تزويدكم صوراً من الأقمار الاصطناعية عبر سفارتها في بيروت؟

- هذا الكلام قرأته وكتب عنه اللواء الركن وفيق السامرائي. وتحدث عن تعاون استخباراتي بينهم وبين الاستخبارات الأميركية، وفوجئت بذلك لكوني لم أعرف في حينه. الاستخبارات العسكرية كانت مرتبطة بصدام حسين، وكانت تزودنا بالمعلومات فقط. بمعنى انني لا استطيع اصدار أمر إلى مدير الاستخبارات وأطلب منه معلومات. ما حدث أن أي دولة تدخل الحرب تحاول الحصول من دول على معلومات وما اتذكره أن الفرنسيين والأميركيين كانوا يزودوننا المعلومات، وكانت هذه أيضاً مهمة الملحقين العسكريين

في الخارج. واعتقد ان الجانب الإيراني كان يقوم بالعمل نفسه. لقد كانت القوة الجوية تعتمد على طائرات "ميغ ٢٥" و"اف ١ ميراج" اللتين لهما قدرة هائلة على التقاط الصور. واذكر أن الصور الجوية التي كنا نتسلمها كانت تبين حتى الخنادق وما فيها. أما الصور الجوية في العمق، فأعتقد أن الأقمار الاصطناعية كانت تزودنا بها. في تقديري ان كل دولة تحارب تحاول الحصول على مثل هذه المعلومات سواء عبر المال أو عبر علاقات صداقة متميزة. هناك مبالغات كبيرة ولم تأتنا مساعدات كوننا لا نمتلك السلاح الأميركي ولا السلاح الغربي عموماً، وسلاحنا اقتصر تقريباً على السلاح الروسي وبعض الأسلحة الفنية السويسرية ومن بعض دول أوروبا.

< سمعت إذاً عن صور جوية جاءت من الفرنسيين والأميركيين؟

- نعم، سمعت. ولكن كانت تتعلق بالأعماق البعيدة. أما بالنسبة إلى الجبهة وبعمق ٥٠-٨٠ كلم كانت طائراتنا هي التي تقدم الصور والمعلومات، وهو ما يهمنا دون التقليل من المعلومات والصور المتعلقة بالعمق الإيراني لأنها مهمة في توجيه الصواريخ البعيدة وتحديد الضربات الجوية.

< ما هو العنصر الذي حسم الحرب بين العراق وإيران؟

- الاستخدام الصحيح لقدرات الجيش والقوات المسلحة. لقد كان بالإمكان انهاء الحرب خلال أيام لو استفيد من إمكانات الجيش

منذ البداية، ولذلك اعتبر انني ساهمت في انقاذ مئات الآلاف من العراقيين والإيرانيين وتقليل الخسائر،

< كنت رئيساً لأركان الجيش، كم كانت خسائر الجيش العراقي؟

- خسائر الجيش العراقي بحدود ١٢٥ ألف شهيد، إضافة إلى ٨٠ ألف أسير ومفقود.

< وما هو بتقديرك حجم الخسائر الإيرانية؟

- اعتقد أنها أكثر، إلا انني لا استطيع أن أعطي رقماً.

< وهل كان هناك ضباط كبار بين القتلى؟

- كانت خسائرنا في الضباط كثيرة، لأنهم كانوا دائماً في الخطوط الأمامية.

< كم كان عددهم؟

- لا استطيع اعطاء رقم، لكنني أقول إن نسبة خسائرنا كانت كبيرة مقارنة مع الجيوش الأخرى. كان من المحتمل أن تنهار الجبهة العراقية بعدما مررنا في ظروف صعبة في العام ١٩٨٣ في الفاو وفي عام ١٩٨٥ في معارك شرق العمارة ومعارك الحصاد الأكبر وجوارته في مناطق الفيلق الأول.

< ما هي المساعدات العربية التي تلقاها العراق؟

- لم يتلق العراق مساعدات عسكرية من أي دولة عربية. واذكر اننا أخذنا مئة دبابة روسية الصنع من طراز "ت ٥٥" و"ت ٥٤" من مصر مقابل ثمن. وجاءنا من اليمن عدد من الألوية العسكرية كانت غير مدربة بشكل كافٍ وكان علينا تدريبها، وكنا نخشى أن نضعها في الجبهات الأمامية خوفاً من وقوعها في الأسر. جاءنا لواء من السودان، وخلال فترة التدريب حدثت أزمات داخلية مما جعل السودانيين يسحبونه.

< وهل ساهم الأردن بشيء؟

- ارسل الأردن متطوعين شكلنا منهم لواء وبعد التدريب وضعناهم في مناطق خلفية.

< والمساعدات من دول الخليج؟

- ساعدت دول الخليج بالمال، وكانت الأسلحة تمر عبر أراضيها.

< ما هو حجم الفيلق؟

- الفيلق تنظيم مرن، يضم في ملاكه الأساسي ثلاث أو أربع فرق وعندما تحدث حرب تلتحق به فرق أخرى من المقر العام أو من الفيالق الأخرى، بمعنى أن الفيلق يمكن أن يدير معركة من ١٠ إلى ١٢ فرقة.

< وما هو العدد؟

- قد يصل إلى ١٥٠ ألف شخص.

"تصدير الثورة"

< ما هو السبب في اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية، هل تعتقد أن النظام العراقي كان خائفاً من الثورة الإيرانية وبادر بالحرب؟

- أود القول ان العراق وإيران وعلى مدى التاريخ كانت بينهما صراعات كبيرة تمتد إلى نشوء الدولة العراقية، وكانت تدور حول الحدود المائية وبالتحديد شط العرب والحدود البرية. وفي زمن الشاه كانت هناك أزمات كبيرة بين البلدين، لكن الفترة الوحيدة التي تخللها الهدوء كانت فترة حلف بغداد الذي ضم إيران والعراق وباكستان وتركيا إضافة إلى بريطانيا. وعندما سقط هذا الحلف عادت المواقف المتوترة بين البلدين. وعندما قامت الثورة الإسلامية وبدأ مدها الشيعي المؤمن بتصدير مفاهيمها وبما أن نسبة الشيعة في العراق كانت عالية توترت العلاقات. أنا اعتقد أن صدام حسين وصل إلى قناعة مفادها أن إيران أصبحت ضعيفة عسكرياً بعد سقوط الشاه وان جيشها انهار بعد إعدام قادته، فقرر مواجهة حلم تصدير الثورة إلى العراق، خصوصاً بعد التأييد الذي حظيت به في بعض الأوساط الشيعية. ثم أن الغرب والاتحاد السوفياتي تخوفا أيضاً من قرار إيران تصدير الثورة، لأن زخم تلك الثورة بدأ هائلاً وحتى الاتحاد السوفياتي خشي من

تأثيراتها على الجمهوريات الإسلامية الآسيوية. أما أميركا فقد استفزتها الثورة منذ أيامها الأولى وتتذكر جيداً قضية الرهائن. لذا اعتقد صدام أنه سيحصل على تأييد العالم، خصوصاً العالم الغربي، إذا ما ضرب الثورة الإيرانية وكبح جماحها واعتقد أيضاً أنه لا يدافع فقط عن العراق، بل أيضاً عن منطقة الخليج بكاملها، وهي كانت تعتبر رخوة آنذاك. كان يعتقد أنه البطل، وأن على كل رئيس وزعيم وقائد استثنائي أن يخوض سلسلة من الحروب، وكان يضع في ذهنه صورة صلاح الدين. كان يعتقد أن في العراق إمكانات وقدرات وثروات هائلة تمكنه من لعب دور أكبر من المرسوم له، وكانت عقدة عبدالناصر موجودة أيضاً، فقد اراد أن يكون البديل وأن يلعب دوراً أكبر مما لعبه جمال عبدالناصر.

< هل لاحظتم تعاطفاً مع أفكار الخميني في صفوف العسكريين الشيعة؟

- كان هناك تيار كبير يؤيد الثورة الإيرانية على الصعيدين المدني والعسكري، وهذا جعل الحكومة العراقية تطارد المؤيدين وتعتقل الناشطين في تنظيمات حزب "الدعوة" الذي مثل التيار الشيعي المعارض. جرت معارك كبيرة بين قوى الأمن وتنظيمات هذا الحزب، ودفع العراقيون خسائر كبيرة من الطرفين.

< كنت قائداً لفرقة عندما بدأت الحرب في ١٩٨٠/٩/٢٢، هل كان لديكم شعور أن الحرب وشيكة؟

- قبل الحرب بثلاثة أشهر، استدعيت مع قائد الفيلق الأول وقادة الفرق الأخرى إلى بغداد للقاء وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وكانت الغاية تدارس نواقص الفيلق الأول. كان قائد الفيلق الأول آنذاك الفريق محمد فتحي، ودار الكلام حول إعادة تدريب قطعات الفيلق، وكنا حينها مشغولين بحرب العصابات في الشمال ضد الحركة الكردية. وكان المطلوب إعادة التدريب استعداداً لحرب نظامية وأن يتم التأهيل في غضون شهرين. كنت أتوقع أن يتكلم قائد الفرقة، إلا أنه سكت تماماً، ما جعلني أن أطلب الكلام. وقلت إن ما عرض وما طلبتموه هو توكيد لاتجاه نحو حرب نظامية، وأننا ننتشر في الشمال بين قصبات وجبال ومعظم أسلحتنا في المخازن الثقيلة وكل هذا يعني اننا غير مؤهلين لخوض حرب نظامية، وإذا كانت هناك نية لخوض هذه الحرب فيجب منحنا مهلة لا تقل عن سنتين، لإعادة تدريب الوحدات. إلا أن وزير الدفاع رفض وقال إن أمامكم شهرين لتجهيز أوضاعكم. كانت الاشارة واضحة وهي الاتجاه إلى خوض حرب نظامية ضد أحد الجيران، وكانت إيران هي المرشحة أكثر من تركيا. وتخوفت يومها أن ينهار الجيش العراقي لعدم جهوزيته.

< ماذا كان شعور الجيش العراقي عندما اندلعت الحرب في ١٩٨٠/٩/٢٢؟

- عندما يحدث أي صراع عسكري لا يمكن للعسكري أن لا يلعب دوره. وهذا لا يعني اننا كنا مقتنعين بأسباب الحرب، لكن مهمتنا

كانت الحفاظ على البلد واداء واجبنا بأحسن ما يمكن، وهذه مهنتنا.

< في تقديرك من هو الشخص الذي كان يعرف بقرار الحرب؟

- اعتقد القائد العام ونائبه ورئاسة الأركان.

< رئيس الأركان؟

- على رغم أن وزير الدفاع كان يدير الحوار، إلا أن الفريق أول عبدالجبار شنشل كان المتحدث الرئيسي، وكان حينها رئيساً للأركان.

< ما هي أكبر معركة سقط فيها ضحايا؟

- اعتقد معركة الفاو. اذكر أن هناك لوحة على طريق الفاو تشير إلى أن معركة الفاو كلفت منذ سقوط المنطقة حتى تحريرها ٥٤ ألف شخص بين شهيد وجريح ومفقود.

< وهل كان كل سلاحكم سوفياتياً؟

- نعم، بحدود ٩٥ في المئة.

< كيف كان موقف الاتحاد السوفياتي من الحرب؟

- في بداية الحرب أوقف الاتحاد السوفياتي شحنة أسلحة لنا. وحتى كانت هناك سفن وصلت إلى ميناء البصرة من دون أن تفرغ

حمولتها أوعز لها بالعودة. وهذا ما دفع النظام العراقي إلى شراء الأسلحة من السوق السوداء. إلا أنهم أعادوا النظر في هذا القرار وبدأوا تزويدنا أسلحة عندما انسحب العراق إلى حدوده الدولية في العام ١٩٨٢ وقبل وقف النار.

< ما هي الدول؟

- أوروبا الشرقية وعبر وسطاء، وكان مدير الاستخبارات آنذاك برزان التكريتي هو الوسيط الكبير وكانت الصفقات كبيرة.

< وهل استمر الاتحاد السوفياتي تزويدكم بالأسلحة؟

- نعم، وبدأنا نأخذ من الصين أيضاً.

< ما هي مصادر الصواريخ؟

- الصواريخ كانت تأتينا أصلاً من الاتحاد السوفياتي ثم بدأ التصنيع العسكري يعمل على تطوير بعض هذه الصواريخ.

< بمعنى ان العراق بدأ ينتج الصواريخ؟

- لا استطيع الجزم بانتاج كامل، فالتصنيع العسكري كان مرتبطاً بالقائد العام وكان حسين كامل الذي قُتل لاحقاً مسؤولاً عنه. وكان من غير المسموح للجيش ولقادته الاقتراب من هذا الموضوع، أو التساؤل حول عمل هيئة التصنيع العسكري.

< ماذا فعل صدام حسين عندما تقدم الإيرانيون داخل الأرض العراقية؟

- قرر أن يقاتل إلى آخر جندي عراقي.

اسوار القصر

< هذا ما بلغكم به؟

- تكلم في مناسبات عدة وقال سنقاتل حتى ولو وصل الإيرانيون أسوار القصر الجمهوري. كانت المواجهة بين رجلين عنيدين، أحدهما مقيم في إيران واسمه الخميني، والآخر في العراق واسمه صدام حسين.

< هذا يعني أن صدام لا يقبل الهزيمة حتى ولو دخلوا بغداد؟

- الحقيقة أن صدام وافق مرات عدة على ايقاف الحرب واحدة منها بعد ثمانية أيام من دخول الجيش العراقي الأراضي الإيرانية واثر وساطة من منظمة المؤتمر الإسلامي ومن دول أخرى طالبت بوقف الحرب. وقد كان العراق دائماً يقبل بمثل هذه الوساطات، إلا أن الخميني لم يوافق عليها.

< ومزق صدام اتفاق الجزائر؟

- التمزيق كان متبادلاً من الطرفين. رفض الإيرانيون قسماً من شروط صدام، فاعتبر ذلك انهاء لذلك الاتفاق، ما جعله يمزقه ويلغيه.

< كيف ترى شخصية صدام؟

- يحاول أن يسمع كثيراً ويستفيد مما يسمعه ثم يعيد صوغه. اعطيك مثلاً فقد التقيته وحدثته عن بعض الأفكار والخطط، وبعد أيام أعاد ما قلته أمام قادة عسكريين آخرين. بمعنى آخر كان يشتري مني ثم يبيعه عليّ أمام الآخرين، كي يشعر الآخرون أنه صاحب هذه الأفكار.

< ما هو اسلوب صدام حسين، القسوة؟

- أثناء الحرب كان حاسماً وأمن كل متطلبات الجيش العراقي ووضع في تصرفه كل موارد العراق.

< هل هو شجاع؟

- كانت قراراته توحي بالشجاعة والقسوة.

< هل كان يزور الجبهة؟

- كان يزور المقرات ويطلب الذهاب إلى المواقع الأمامية، وكان القادة يحرصون على عدم وصوله إلى مناطق خطرة جداً.

< هل زارك في الجبهة؟

- جاء أكثر من مرة.

< على أية جبهة؟

- في القاطع الأوسط شرق خانقين جاءني مرتين، وطلب مني الذهاب إلى الخطوط الأمامية، إلا أنني اوصلته إلى القطعات الخلفية وقلت إنها قطعات أمامية، لأنني كنت تحت مسؤولية أن يُقتل.

< وهل كان عدنان خيرالله شجاعاً؟

- نعم كان شجاعاً ومتفهماً، إلا أنه لم يكن صاحب القرار.

< من هم أبرز القادة العسكريين خلال الحرب العراقية - الإيرانية؟

- برز كثيرون وأجادوا في إدارة معارك ناجحة وفشل آخرون في مهماتهم، إلا أننا في آخر الأمر حسمنا أمر الحرب.

< هل اعدم صدام قادة عسكريين؟

- نعم بسبب ما اعتبره عدم تأدية واجبهم بالشكل المطلوب، وليس بسبب الخيانة أو التخاذل.

< وهل أثرت الإعدامات على معنويات الجيش العراقي؟

- تؤثر بالتأكيد ولكن الحرب حرب ولا مجال للتراخي.

< كيف يُعدم قائد، ومن يأخذ القرار بإعدامه؟

- هذه القضية لا نعرفها، فمثلاً بعد سقوط المحمرة اعدم قائد الفيلق وقادة الفرق ومنهم الفريق صلاح القاضي قائد الفيلق الثالث، ويقال إنه جادل صدام والقيادة بسبب تدخلاتهم في عمله وإدارته لمسرح العمليات، مما حمل الفيلق خسارات كبيرة، ومثل هذا الجدل تعتبره القيادة نوعاً من التحدي.

< عندما يذهب القادة العسكريون للاجتماع بصدام لا يدخلون بمسدساتهم؟

- نعم هذا صحيح.

< وصدام يحتفظ بمسدسه؟

- نعم. في أي حال القادة العسكريون لا يحملون عادة مسدسات معهم. أنا لم أحمل المسدس نهائياً. فواجب القائد لا يختصر بحمل مسدس.

< كيف استقبلتم قرار وقف النار؟

- احتفلنا وابتهجنا كثيراً لكون الأراضي العراقية حررت بأكملها وتوغلنا في الحدود الإيرانية إلى مسافة ٢-٣ كلم بسبب فقدان

اشارات الحدود القديمة وحتى لا نترك مجالاً للخطأ، وقد أبلغت القيادة بذلك.

< هل اخبرته عن طريق التلفون؟

- لا، كنا سوية وبعدها تركته وأصدر بيانه الشهير. ابتهج لحظة إقرار الخميني بهزيمته، وقال إن الله أراد أن يسمع العالم وشعبنا ان الخميني الذي قال إنه كان يفضل تجرع السم اضطر إلى الموافقة على وقف النار.

< هل كان كره صدام للخميني شخصياً؟

- أكيد، وأعتقد أن الشعور كان متبادلاً. مزاجا الرجلين كانا على طرفي نقيض. والعناد جزء من شخصيتهما. يجب ألا ننسى أن الخميني كان في العراق وابعد. بموجب اتفاق الجزائر بين صدام وشاه إيران في ١٩٧٥ تعهد كل من البلدين بالامتناع عن دعم المعارضين لنظام البلد الآخر. راح الخميني يوزع بيانات وكاسيتات ضد الشاه داخل العراق. ارسلت إليه السلطات وفداً وشرحت له التزامات ١٩٧٥ وطلبت منه إما التقيد وإما مغادرة العراق. الخميني اعتبر الخطوة ضربة كبيرة. أنا أعتقد أن العداء الشخصي بين الخميني وصدام كان من أسباب اندلاع الحرب واستمرارها لأمد طويل. كان هناك كره متبادل.

< كان شامتاً بهزيمة إيران؟

- أكيد، إلا أن شخصية صدام حسين تغيرت تغيراً هائلاً من هذه اللحظة، فقد أصبح المنتصر والمتبجح والمغرور الذي يعتقد نفسه شبه إله وراح يبتعد عن الآخرين. اسلوبه غريب. يحتضنك عندما يحتاجك وعندما تنتهي الحاجة يرميك، وهذا ما حدث معي بالفعل بعدما أصبحت لي سمعة كبيرة في القوات المسلحة.

< خضت معارك كثيرة، هل سقط قتلى تعرفهم؟

- نعم، خصوصاً في المقرات المتقدمة وعند إدارة المعارك.

< ما هو احساسك كقائد عندما يقتل أحد ضباطك أو جنودك؟

- احساس صعب، فخلال الحرب تتولد علاقة حميمية مع الناس. الضباط والجنود يجمعهم مصير واحد وأساسه التكاتف. كان عملنا منصباً على تقليل الخسائر وفعلاً كانت خسائر معاركنا التي حررنا بها العراق قليلة. نجحنا في انهاء الحرب، وبهذا الشكل أنقذنا مئات الألوف من العراقيين والإيرانيين من المذبحة.

< وهل كان يمكن للحرب أن تستمر لسنوات أخرى؟

- نعم، كانت ستستمر لو بقيت على نهجها السابق. وكان العراق برأيي لا يستطيع الاستمرار، لأن مواردنا نفدت وأصبحت ديوننا هائلة وكانت خسائرنا البشرية كبيرة بالنسبة إلى عدد السكان، إضافة إلى أن خطوط النفط كانت مقطوعة. فيما كان الإيرانيون يتفوقون علينا عددياً وكانت طرق مواصلاتهم وتصدير نفطهم

مفتوحة وكانت إيران آنذاك تقاتل بقطع خفيفة من الحرس الثوري.

< وما هي قصة الأمواج البشرية؟

- كانت هناك مبالغات. اعتمد الإيرانيون على القطاعات الخفيفة وعلى البشر والتفوق العددي.

الحلقة الخامسة (الأخيرة):
التغيير

ما اصعب ان تكون جنرالاً. فالقيادة فرصة وعبء في آن. وما أصعب ان تكون جنرالاً في بلد يملك رجل واحد فيه حق دفع البلاد الى حرب. وما اصعب ان تكون جنرالاً في عهدة القائد العام الممسك بكل الخيوط والقابض على كل الحقائق والمصائر.

وقصة الفريق ركن نزار الخزرجي تروي قصة عقود من عمر العراق. ويقول الرجل الجالس في المنفى ان الحلم الاخير لديه هو رؤية عراق ديموقراطي مزدهر يعيش كسائر الدول، ولشعبه ما لسائر الشعوب من حقوق وتطلعات.

ولد نزار الخزرجي في ١٩٣٨/١١/١٧ في الموصل في عائلة عسكرية. والده عبدالكريم كان عميداً في الجيش، وعمه ابراهيم فيصل الانصاري تولى رئاسة الاركان ١٩٦٧ - ١٩٦٨. دخل الكلية العسكرية في ١٩٥٥ وتخرج في ٣٠ حزيران يونيو ١٩٥٨ قبل اسبوعين من الثورة التي غيّرت وجه العراق.

لقاؤه الاول مع صدام حسين كان في موسكو في ١٩٧١. راجع السيد النائب بخصوص مشكلة عمه الذي حكم بالاعدام فوعده، وقال صدام لمعاون الملحق العسكري ان البلاد تحتاج الى امثالك من الضباط. عاد نزار الخزرجي وحلّ صدام مشكلة عمه الذي أُطلق بعد اسبوعين.

شارك في حرب ١٩٧٣ في الجولان وتسلّم قيادة لواء وفرقة. ثم بدأ عهد صدام حسين واندلعت الحرب العراقية . الايرانية التي حسمت في عهده في رئاسة الاركان.

نص الحلقة الاخيرة

< أخرجك صدام من رئاسة الاركان بعد غزو الكويت ثم استدعاك مجدداً بعد اندلاع الحرب؟

- كلفني صدام حسين ان اذهب الى الجنوب لتشكيل خط دفاعي على نهر الفرات، خاف ان تتقدم قوات التحالف الى الناصرية بعدما تمكنت من احتلال قاعدة علي بن ابي طالب الجوية القريبة. كلفني هذه المهمة وابلغني ان الفيالق الخمسة التي ستنسحب من الكويت ستوضع اتحت امرتي.

مساء ٢٧ شباط فبراير وصلت الى الناصرية

وكان تم التوصل الى وقف اطلاق النار. وهنا بدأت قصة اخرى. في الاول من آذار مارس على ما اذكر، جاءني محافظ الناصرية الى مقري في اطراف المدينة وقال ان السكان تمردوا في ناحية الفهود في اهوار الجبايش وقتلوا مدير الناحية وعناصر حزبية. واخبرني لاحقاً ان الثوار سيطروا على كرمة بني سعيد وبعدها على قضاء سوق الشيوخ واقتحموا دار القائمقامية وقتلوا القائمقام وعناصر حزبية وان تصفيات تحصل.

كنا في الناصرية في حدود ٢٣ ضابطاً وجندياً. الوحدات التي كان مقرراً ان تلتحق بنا لم تصل. قصفت القوات المنسحبة من الكويت وكانت الجسور محطمة. في اليوم التالي وصل المشاركون في الانتفاضة الى الناصرية وقتلوا المحافظ واعضاء قيادة الحزب فيها، هوجم مقرنا، علماً اننا لم نقاتل، واصبت بأربع رصاصات في بطني. اندلعت النار في المبنى ونقلني الضباط الى السطح مغمياً عليّ. بعدها توصل الضباط الى تسوية مع مهاجمي المقر ونقلت الى مستشفى صدام في الناصرية حيث خضعت لعملية جراحية. كان وضعي الصحي سيئاً جداً نتيجة تسمم الجرح.

في الثامن من آذار مارس وصلت وحدات من الحرس الجمهوري، ففر الثوار من المدينة ونقلت الى بغداد بطائرة هليكوبتر. ادخلت المستشفى العسكري ثم مستشفى ابن سينا الخاص بكبار المسؤولين.

الرئيس والجنرال الجريح

زارني صدام في المستشفى يرافقه سكرتيره عبد حمود. اراد ان يستفسر عما حدث وكان وضعي الصحي سيئاً وحالتي النفسية سيئة. كلّمته بشدة. سألته لماذا كل هذا الذي يحدث؟ ألم أبلغك ان العراق سيدمر؟ لماذا يهاجمنا الناس؟ لماذا يهاجمنا الفلاحون؟ ولماذا يهاجمنا جنود هاربون؟ لماذا كل الناس ضدنا؟ ولماذا حل بالجيش ما حلّ به؟

بدا صدام متأثراً وفي وضع سيئ كان يكتفي بالرد بعبارات قصيرة من نوع يمكن في مثل هذه الظروف ان يحدث ما يحدث؟ الحقيقة انه ما كان ليقبل مثل هذا الكلام لو لم يكن الوضع كارثياً ولو لم اكن مصاباً. مكث صدام نصف ساعة وبعدما طلب من الاطباء الاهتمام بي غادر المكان. امضيت شهرين في المستشفى وبعدها نقاهة لخمسة اشهر.

< ومتى التقيته لاحقاً؟

- حين كنا ندعى في المناسبات الوطنية والاعياد. باستثناء ذلك لم اداوم في اي مكتب لا في الرئاسة ولا الحزب. لم يتعلم صدام من العبر وازداد الوضع تدهوراً فشعرت ان العمل الوحيد المجدي هو العمل لتغيير النظام برمته.

< هل تعتقد بأن الحرب الاميركية على نظام الرئيس صدام حسين حتمية؟

- يخيّل لي ان ثمة قراراً اميركياً واضحاً بإطاحة صدام وهو ما يقدم مؤشرات الى ان الصدام حتمي. لأميركا اهداف استراتيجية كبرى وموقع العراق مهم.

< هل الحرب الاميركية هي الحل؟

- الحل في نظري ممارسة ضغوط اميركية ودولية لتمكين الجيش والشعب من الانتفاض. وهنا أُثمّن ان يحصل تغيير في الخطاب

الاميركي. بحيث يتركز على وحدة العراق ومساعدته على بناء نفسه حين يأخذ الشعب والجيش المبادرة لاسقاط النظام بدلاً من العبارات الشائعة الحرب على العراق وضرب البنية التحتية وادارة العراق وغيرها.

على الجميع ان يتذكروا ان العراق بلد صعب وان الحل الحقيقي يأتي من الداخل ومع دور لضغوط الخارج.

< ألا تعتقد ان التغيير يستلزم وجود عسكري على رأس السلطة؟

- لا ارى ابداً اي حاجة الى وجود عسكري على رأس السلطة. دور القوات المسلحة يجب ان يكون دعم الحكومة التي ستواجه اعباء كثيرة. ان دور الجيش هو دعم عملية الانتقال هذه.

< افهم ان مجيء جنرال لا يشكل حلاً؟

- نعم. يجب الاقلاع عن تكرار هذه النظرة المجوجة وغير المقبولة لا من الداخل ولا من العالم. الجيش يجب ان يعرف دوره وهو الدفاع عن الوطن وحماية السلم والاستقرار عن طريق دعم الحكومة والتزام القوانين. والحكومة التي ستتولى السلطة بعد صدام يجب ان ترتكز على قوى الداخل وان تكون واسعة التمثيل والعراق غني بالطاقات والكفاءات.

< ماذا سيحل بالجيش العراقي اذا اندلعت الحرب؟

- سيمزّق الجيش وسيمزق العراق وستحصل فاجعة للعراق وربما للمنطقة. سيحدث تغيير رهيب تمتد آثاره الى المنطقة. ليس هناك حتى الآن صورة واضحة لما يمكن ان يحدث بعد الحرب. لذلك ادعو الى ان يكون الحل عراقياً مسنوداً من المجتمع الدولي والدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

< تعتقد ان الحرب مخيفة؟

- مرعبة. التغيير الذي ادعو اليه ممكن بالحد الادنى من الخسائر. اعتقد بأن القوات المسلحة ستتخلى سريعاً عن ولائها لصدام حسين.

< كيف تقوّم قدرات الجيش العراقي حالياً اذا شنت الولايات المتحدة حرباً؟

- الحل الاضمن والاسلم هو الحل العراقي. انا ادعو الى ان يقوم الجيش العراقي والشعب بإطاحة النظام. وبحكم معرفتي بالمؤسسة العسكرية ارى ان الامر ممكن اذا تغيّر الخطاب الاميركي والغربي. الخطاب الاميركي يسير في اتجاه غير صحيح. تعابير الحرب على العراق وتدمير البنية التحتية وتدمير القوات المسلحة العراقية واسقاط صدام بحرب شاملة. صحيح ان حرباً من هذا النوع تسقط صدام لكنها تسقط ايضاً العراق شعباً ودولة. ان حرباً شاملة ستؤدي الى تمزق البلد والى اصابات تلحق اضراراً بأجيال. الخسائر والاشعاعات، انا اقترح ان يوجه الخطاب

الاميركي والغربي في اتجاه ان العالم سيدعم العراقيين شعباً وجيشاً لاسقاط صدام حسين وبناء عراق موحد وان الولايات المتحدة ستعمل على ابقاء ثروات العراق للعراقيين وستعمل مع المجتمع الدولي على رفع الحصار والعقوبات وتأكيد وجود عراق ديموقراطي يلتزم المواثيق الدولية. هذا الخطاب سيلقى الصدى لدى القوات المسلحة والشعب العراقي مع ابقاء سيف التهديد الاميركي والدولي مسلطاً فوق صدام لكن على ان نقوم نحن بإطاحة النظام.

< هل لديكم القدرة؟

- أنا واثق اننا فور وضع أقدامنا في الأرض العراقية ستنضم الوحدات العسكرية إلينا. أنا كنت اريد الحصول على وثيقة سفر للتوجه إلى شمال العراق. الوقت يضغط وعلينا أن نتحرك. وربما لهذا السبب تصاعدت الحملة ضدي. صدام يهمه تماماً أن لا أكون هناك. انه يخشى المعارضة، لكن خشيته الكبيرة هي من القوات المسلحة التي يعرف رصيدنا فيها. وهناك عدد كبير من الضباط والعسكريين على استعداد لأن نعمل معاً ونشق طريقنا بالقتال إلى بغداد. أنا واثق من التفاف آلاف الضباط في الداخل حولنا فور أن تطأ أقدامنا أرض العراق.

< أفهم انك مستعد لقيادة عملية عسكرية انطلاقاً من شمال العراق؟

- مستعد للقيام بدوري في احداث التغيير. أنا اعرف الجيش. إذا تحركت قطعة عسكرية واحدة سيلتف الناس حولها. وحين يلتحم الجيش مع الجماهير لا تستطيع أي سلطة مواجهته.

< هل هناك مؤشرات تململ داخل الجيش العراقي؟

- أعود وأقول إن الجيش جاهز للقيام بهذا الدور، إذا تغير الخطاب الأميركي والدولي وطمأن العراقيين إلى مستقبل بلدهم.

< هل لديك شعور بالخيبة مما رأيته من المعارضة في الخارج؟

- أنا خارج هذه الاطر. اعتقد بأن القوات المسلحة تمثل كل الشعب العراقي. وأعتقد أيضاً أن على القوات المسلحة أن تكون بعيدة عن السياسة بعد صدام. أقول هذا على رغم علاقاتي المتميزة مع قوى موجودة على الأرض، خصوصاً القوى الكردية التي نثق بها وتثق بنا، وهي تعتقد أننا يجب أن نكون معاً لتفادي الأخطار والنزاعات.

تصوّر ماذا يحدث. قيادات الحزب الديموقراطي الكردستاني بزعامة الأستاذ مسعود البارزاني وقيادات الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة الأستاذ جلال طالباني وحزب الوحدة الإسلامي الذي ضرب بالأسلحة الكيماوية في حلبجه، كل هذه القوى بعثت برسائل إلى وزير العدل الدنماركي تؤكد أن لا علاقة لي بما تعرض له الأكراد. وتؤكد الرسائل أن المسؤول هو صدام حسين وابن عمه علي حسن المجيد، وان لا علاقة لنزار الخزرجي

المعروف عنه معارضته للعنف وأن أجهزة النظام وراء الحملة. وعلى رغم هذه الرسائل من قادة الشعب المعني تستمر الحملة من المرتبطين بالنظام ومن مجموعات متطرفة تكره كل رجل جاء من الجيش.

< من يفترض أن يقود التغيير؟

- أرى أن التغيير يجب أن تقوده حكومة انتقالية مدنية من العناصر الوطنية في الداخل، وأن تكون ممثلة لكل الطوائف والاتجاهات. وأرى أن تدعم القوات المسلحة هذه الحكومة لإزالة آثار المرحلة السابقة وما أحدثه صدام، وإعادة العلاقات مع دول المنطقة والعالم وإعادة بناء المؤسسات الدستورية واعطاء الحرية للأحزاب والصحافة وبناء قضاء مستقل. وهذه الفترة قد تستمر عامين ثم يذهب الشعب إلى صناديق الاقتراع لاختيار برلمان عراقي حقيقي.

< وماذا عن الموضوع الكردي والفيديرالية؟

- أنا كعربي اعتز بقوميتي وكذلك العراقي الكردي والتركماني. يجب أن يمنح العراقيون حقوقاً متساوية، أي أن يكون الناس كأسنان المشط في ظل نظام ديموقراطي. وأنا أؤمن أن النظام المركزي متخلف. العالم اليوم يعيش عصر اللامركزية. يجب أن يترك للشعب العراقي أن يقرر أي نوع من اللامركزية.

< والحل الفيديرالي؟

- أي صيغة يعتبرها الشعب العراقي هي الأفضل يمكن أن نسير بها. اللامركزية واسعة الحدود وتصل إلى حد الفيديرالية. يجب أن يكون هناك مشروع دستور واضح يطرح على الشعب ويقر ويبنى المستقبل على أساسه. أنا لا اضع حلولاً، أنا أتحدث في مبادئ عامة. الحلول يضعها الشعب. من يرسم حلولاً جاهزة يضع نفسه مكان الشعب.

< هل تعتقد بأن أي حكومة انتقالية تشكل في حال سقوط نظام صدام يجب أن تضم أساساً عناصر من الداخل؟

- نعم، يجب أن تضم القوى التي عانت واضطهدت والتي لا تزال تعايش اليوميات العراقية دقيقة بدقيقة. حتى نحن الذين خرجنا منذ سنوات قليلة نشعر أحياناً بوجود مسافة تبعدها عن تطور الأحداث. هناك في الداخل شخصيات ممتازة يمكن أن تشكل أعمدة حكومة وطنية في الداخل.

< هل تعتقد بأن نظام ما بعد صدام حسين سيواجه مشكلة مع الاصوليين العراقيين؟

- أي تغيير غير مسيطر عليه في العراق يحمل معه إمكان تفجر صراعات كبيرة بين فئات مختلفة قومياً أو طائفياً، هذا عدا عن تصفية الحسابات السابقة. أي فراغ ينذر بجملة حروب لا أول لها ولا آخر. ومثل هذا التقاتل في العراق قد يترك آثاره خارج حدوده.

< تشدد على أن من مصلحة العراق والمنطقة أن يطاح النظام من الداخل؟

- هذا أكيد. إذا كان ما ينتظر العراق هو الخير، آمل أن يتحرك الشعب والجيش لإزاحة صدام قبل أن يضرب. اقول صادقاً انني أخشى من أن تؤدي الضربة الخارجية إلى تمزق العراق تمزقاً كاملاً واصابته بنكبة لأجيال. إذا قصم ظهر الجيش العراقي، فإن صراعات دامية ستنفجر والتجارب السابقة معبرة. ما لم تكن هناك سيطرة على عملية التغيير ستكون هناك فوضى وسيكون هناك اقتتال وتصفيات على الهوية.

< هل تخشى من أدوار للدول المجاورة داخل العراق اذا ضعف؟

- بصراحة، العراق اليوم يعيش بلا سيادة أو استقلال أو كرامة. موضوع تحت الانتداب الكامل بقرارات أممية. لقد خسر العراق استقلاله وسيادته وهو ممزق عملياً. ما بقي هو رجل على كرسي الرئاسة اسمه صدام حسين يمسك بالاجهزة الأمنية.

< هل أعجب العراقيون في البداية بصدام حسين؟

- نعم، في المراحل الأولى رأوا فيه شاباً متحمساً متعلقاً بالمثاليات. كثيرون اعجبوا به ورأوا فيه القائد المقبل الذي يحتاجه العراق. كانوا يفضلونه على أحمد حسن البكر. كان صدام يستقبل ويحاور ويشارك في مؤتمرات. يجب ألا ننسى ان العراق أمم النفط

وازدادت المداخيل وحلم الناس بالرخاء واعتقدوا بأن صدام رجل بناء.

< هل كان البكر محبوباً داخل الجيش؟

- لم تكن لدى البكر الكاريزما الموجودة لدى صدام. كان متحفظاً ويخشى على البلد والجيش. ولا يغامر. كان نظيف الكف يعيش من راتبه وفرض الانضباط على أولاده وأبعدهم عن التجارة. كانوا يقدرو نزاهته.

< في الثمانينات، كانت العلاقات متوترة بين سورية والعراق، هل تخوفتم من اندلاع حرب؟

- كان هناك توتر في العلاقات بفعل حساسيات حزبية قديمة أضيفت اليها خلافات حول الأدوار وحول الموقف من ايران ما بعد سقوط الشاه ومسائل أخرى. لم يكن الخلاف سراً، لكن الأمر لم يصل الى حد التسبب بحرب. نحن في الأساس لم نكن نتصور ان يقاتل الجيش العراقي يوماً بلداً عربياً. لهذا السبب بدا غزو الكويت غريباً، اذ ان هذه الأساليب لا تتوافق مع الشعارات التي رفعت سابقاً.

< في أواخر الثمانينات قدم العراق دعماً عسكرياً لأطراف كانت تناهض الوجود العسكري السوري في لبنان؟

- هذا الملف كان في عهدة الاستخبارات والرئاسة ولم تكن لنا أي علاقة بإدارته أو التعامل معه. عادة هذا النوع من الملفات الخارجية من صلاحية الاستخبارات وبإشراف الرئاسة. عرفنا ان دعماً يقدم لتعزيز موقف العماد ميشال عون وأطراف اخرى ضد سورية. الواقع ان الأمر كان يتعلق بصراع عراقي - سوري على أرض لبنان. وللأسف تقاتل اللبنانيون بسبب مشاكلهم كما تقاتلوا نيابة عن الأطراف الخارجية.

< كانت علاقة صدام حسين قوية بياسر عرفات؟

- نعم. عرف ياسر عرفات شخصية صدام حسين ونقاط الضعف فيها وكان يخاطبه بما يناسب لجعله سخياً. كان يسميه القائد ويتحدث علناً عن دخول القدس معاً على حصان ابيض لتأدية الصلاة في المسجد الأقصى. وكان صدام يشعر بزهو كبير.

< هل كان صدام راغباً في خوض حرب ضد اسرائيل؟

- طبعاً، موقف صدام المعلن من اسرائيل معروف. لكن حتى ولو كان راغباً فإن الفرص انعدمت بعد الحرب العراقية - الايرانية. كلامه العام هو انه لا يعترف باسرائيل ويدعو الى إزالتها.

< هدد ذات يوم بإحراق نصف اسرائيل؟

- هذه للأسف كانت بداية استدراجه الى الاصطدام بالإرادة الدولية. نقلت أطراف الى صدام حسين معلومات تفيد ان

اسرائيل ستقصف مؤسسات التصنيع العسكري، فرد بتحذير اسرائيل قائلاً انه في حال ضربت اسرائيل مؤسساتنا العلمية والصناعية سيحرق نصف اسرائيل. منطق التصعيد هذا أوصل الى غزو الكويت، وكانت تلك التحذيرات بداية الصدام مع الغرب.

طائرة عدنان خيرالله

< ما هو حادث الطائرة الذي أودى بنائب القائد العام وزير الدفاع الفريق أول ركن عدنان خيرالله في ١٩٨٩؟

- كان عدنان خيرالله ضابطاً محترفاً وصاحب رصيد في الجيش وبينه وبين كثير من الضباط شعور تقدير متبادل. كان يتبنى الضباط وكانوا يشعرون بالأمان بسبب وجوده. عدنان خيرالله شقيق زوجة صدام ساجدة وابن خاله. وفي الحرب العراقية - الايرانية اهتم بالجيش بحكم موقعه وكان عملياً الرجل الثاني. ابتداء من العام ١٩٨٦ راحت الصورة تتبدل. حسين كامل صعد وتزوج ابنة الرئيس ووسع صلاحياته ليحتل موقع الرجل الثاني ساعياً الى ابعاد صدام، قدر الإمكان، عن عدنان. سعى فعلياً الى احداث فجوة.

ذات يوم في ١٩٨٩ عقد اجتماع في وزارة الدفاع لكبار العسكريين. دخل ضابط وسلم وزير الدفاع كتاباً من القائد العام. كانت هناك في وزارة الدفاع هيئة علمية لضباط علماء مرتبطة بوزير الدفاع وتهتم بتطوير الأسلحة. جاء في مضمون الكتاب ان على كل أعضاء

الهيئة الالتحاق خلال ٢٤ ساعة بهيئة التصنيع العسكري والالتحاق بملاكها ايضاً، وتصبح علاقتهم مع حسين كامل. اعتبر وزير الدفاع الخطوة بمثابة ضربة فانفعل وبدأ القول: "ما هذا العمل؟ سيخرب الجيش والبلد، ماذا يفعل صدام حسين؟". قلت له: "سيدي لو سمحت رجائي ان لا يكون هذا الكلام أمام الضباط فقد ينقله أحد ويحدث مزيداً من التباعد". نحن كنا نريده ان يبقى وكنا نعتبره ضمانة.

ذهبت الى مكتبي واذ بعدنان يلحق بي ويقول: "ما الذي يجري، ومن هو حسين كامل؟ هذه خطوات تدمر البلد، هذا الشيطان سيدمر الجيش. انت عاقل يا صدام حسين فكيف يلعب بك هذا الشخص؟ كيف يُصدر أمراً بإلحاق كل علماء وزارة الدفاع بحسين كامل؟". طبعاً هذا الكلام خطير في بلد مثل العراق. قلت له: "يا سيدي أرجوك، ان كان هناك شيء فتكلم معه الرئيس ولا تتكم امام الآخرين. نحن نريدك ان تبقى سنداً لنا" فأجاب: "يا فريق نزار هل يتركني حسين كامل أراه. لا يخليني أشوفه من خلال زوجته. هل تتصور انني أقدر ان أراه دائماً؟".

هذه حادثة شهدتها انا وهي تدل كم كانت العلاقات متشنجة بين صدام حسين ووزير الدفاع بسبب حسين كامل. ذات يوم ذهب صدام مع العائلة الى مصيف في الشمال وذهب عدنان خيرالله. وحصل كلام في هذا اللقاء وتضمن نوعاً من التراضي. استقل عدنان خيرالله طائرة هليكوبتر وعاد الى بغداد فسقطت الطائرة.

انا هنا لا استطيع ان اجزم ما إذا كان الطقس السيئ هو السبب أم ان عدنان خيرالله راح ضحية قصة مدبرة.

أحدث موت عدنان خيرالله صدمة في صفوف الجيش والمدنيين. كان شخصاً جيداً ويحب الخير. الضابط الجيد لا يكون مؤذياً ودموياً. هذه الممارسات للمتسلقين بلا كفاءة.

< لماذا اتخذت قرار الخروج في ١٩٩٦؟

- كنت اتوقع بعد النكبة التي حلت بالعراق بفعل اجتياح الكويت ان يعيد صدام حسين النظر في مواقفه وسياساته. كل ذلك لم يحدث، وصلت الى قناعة ان الرجل لم يفهم الدرس ومستمر في اسلوبه وازداد عنفاً. اجرى استفتاء وكانت النتيجة ٩٩,٩٩ في المئة اي ان اربعة آلاف شخص لم يصوتوا له. تصور انه على شاشة التلفزيون قال انه بعد اعلان النتائج يأمل ان يكون هؤلاء الاربعة آلاف يكونوا فهموا الآن. شعرت ان واجبي تجاه بلدي يلزمني بالتفكير في تغيير في العراق وان الخروج صار حتمياً.

خطة الخروج

< كيف خرجت؟

- تبلورت الفكرة قبل ستة اشهر من موعد التنفيذ. اعتقد ان بيتي كان مزروعاً بالميكروفونات لهذا كنا نتعمد الصعود الى السطح والهمس هناك للتفكير والتخطيط. الحقيقة ان عدداً من الضباط

تركوا العراق قبل ذلك واقاموا في انحاء مختلفة وبعضهم في الاردن. اعتبر هؤلاء ان العمل للتغيير يستلزم وجود شخصية عسكرية معروفة وذات رصيد داخل الجيش، ورأوا انني الشخص المناسب. اتصل هؤلاء بجهات كانت لهم علاقات بها فباركت واقترحت عليهم مفاتحتي بالامر. انها جهات دولية.

كنت حاولت في ١٩٩٥ ارسال ابني الى الخارج للاتصال ببعض العناصر. لدى وصوله الى الحدود اخرجت عناصر من "الامن الخاص" قائمة سرية بالممنوعين من السفر وكان اسمه فيها بوصفه ابن احد المسؤولين. لم يتمكن من السفر. حصل الاتصال من خلال زوج ابنتي الصغرى المقيم حالياً في الولايات المتحدة. ابنتى الصغرى تمكنت من المغادرة على اسم زوجها. جاء صهري وقال ان هناك مجموعة من الضباط العراقيين في الخارج يريدون القيام بعمل في العراق، ولديهم تفاهمات مع جهات دولية، وينتظرون ردك اذا كنت مستعداً. شعرت انني كعسكري عليّ ان اتابع تنفيذ واجبي تجاه وطني، فوافقت وبدأت التخطيط للخروج. وخرجت في ١٤ آذار مارس ١٩٩٦.

< وطريق الخروج؟

- كانت الرقابة شديدة فعلاً. وكان علينا ان لا نثير اي شبهة. في المرة الاولى اتفقت مع ابنائي على سيناريو يقول اننا سنذهب لزيارة شخص وقد نتأخر قليلاً. وطبعاً عرف الحرس وكان يهمنا ان يعرفوا. ذهبنا في ذلك اليوم لكن خطأ في التوقيت حال دون

التقائنا بمن كان يفترض ان ينتظرنا. اضطررنا الى العودة الى البيت. ترافق ذلك مع عودة حسين كامل من الاردن. وساورتني مخاوف من ان يكون تمكن من معرفة شيء وعاد ليبلغ. ثم سمعنا نبأ مقتله فتبين ان مخاوفنا غير صحيحة. بعد ثلاثة اسابيع اسمعنا الحراس ان قريباً لنا توفي في منطقة ديالى وان علينا القيام بواجب العزاء.

ذهبنا في سيارتين وقمنا بحركات تمويه ثم اتجهنا شمالاً الى الموصل. اعتقد الحراس انني ذاهب للتعزية وسأعود وكنت ابلغتهم ان التقاليد العربية قد تفرض بقائي يومين في ديالى. وصلنا الى الموصل وهناك التقينا بأحد المسؤولين وانتقلنا الى عقره في المنطقة الكردية. لم نحمل معنا اي ورقة او وثيقة او جواز سفر حتى لا نثير الشبهات في حال توقيفنا.

امضينا ليلتين في عقره وانتقلنا بعدها الى زاخو ثم الى تركيا وفي ٢١ من الشهر نفسه وصلت الى عمان.

< من التقيت في كردستان؟

- لا اريد الخوض في الاسماء. لا اريد ان يتأذى احد بسببي. خرجت عبر المنطقة الكردية وبحماية.

< كيف استقبلت في الاردن؟
- كان موقفهم جيداً، أمنوا لي مسكناً وحراسة. بقيت حوالي سنتين، تعرضت لخمس محاولات اغتيال، اكتشفت قبل تنفيذها

باستثناء واحدة حين مرت سيارة واطلقت النار على مقر اقامتي والحمد لله لم يصب احد. في ١٩٩٨ صار واضحاً ان عليّ ان اغادر الاردن فقد كانت المخابرات العراقية ناشطة. اصر رفاقي ان اغادر، فذهبت كي لا يخطف احد اولادي وأجد نفسي في وضع صعب. ذهبت الى اسبانيا وبقيت حوالى ستة اشهر. ذات يوم اتصل بي مسؤول في المخابرات الاردنية وقال ان فريق اغتيالات عراقي وصل في اليوم نفسه الى اسبانيا لاغتيالي. طالبني ان اغير مقر اقامتي فوراً ففعلت ثم غادرت الى الاردن. مرة جديدة بدأت الملاحقة في الاردن فجئت في ١٩٩٩ الى الدنمارك.

< هل جرت معك بعد خروجك اتصالات من جهات عربية ودولية؟

- حصلت اتصالات لكن الاتجاه العام اقليمياً ودولياً كان الى احتواء صدام حسين لا اسقاطه. لم يتحقق الهدف من خروجي ما ولّد لدي خيبة كبيرة. انا خرجت للعمل على اسقاط النظام.

< هل عرض عليك صدام العودة؟

- لا، اتصلت اجهزته اكثر من مرة. مارست الترغيب والترهيب واطلقت تهديدات لكنهم يعرفون انني ايضاً من الرؤوس الحامية.

< هل تتوقع العودة الى العراق قريباً؟

- نعمل من اجل العودة. هناك جهد جيد عسكرياً وسياسياً. هنا جاءت الاتهامات الملفقة ضدي لمنعي من التحرك وممارسة دوري.

معلوماتي الاكيدة ان اطرافاً مرتبطة بالنظام عربية وكردية وراء هذه الاتهامات ضدي. وللأسف فإن الجهات المعنية في الدنمارك تأخذ في الاعتبار هذه الاتهامات.

٢ كانون الأول ٢٠٠٢

(انتهى)

اثناء اجراء هذه الحوارات كان هناك هذا الخبر:

.....

الدنمارك : الحكم بإبقاء الخزرجي قيد الإقامة الجبرية

تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١١/٣٠

كوبنهاغن - أ ف ب - قررت محكمة الاستئناف في كوبنهاغن أمس ابقاء الضابط العراقي السابق نزار الخزرجي اللاجئ منذ ١٩٩٩ مع عائلته قيد الاقامة الجبرية، ومصادرة كل وثائق السفر التي في حوزته بطلب من المدعي العام، خشية مغادرته الدنمارك وفراره من الملاحقات القضائية وفق ما افاد مصدر قضائي.

ويؤكد هذا القرار المرفق بحظر مغادرة الاراضي الدنماركية، الحكم الصادر عن محكمة سورو ٥٠ كلم جنوب غربي كوبنهاغن في ١٩ تشرين الثاني نوفمبر والذي استأنفه محامي الخزرجي.

وبهذا القرار استجاب قاضي الاستئناف لطلب النيابة العامة التي طالبت بوضع الفريق السابق قيد الاعتقال الموقت او الاقامة الجبرية على الاقل، خشية فراره من الدنمارك هرباً من الملاحقات القضائية.

وتم اعتقال هذا القائد السابق للقوات المسلحة العراقية في ١٩ تشرين الثاني في منزله في سورو فيما كان على وشك المغادرة الى السعودية التي منحته تأشيرة دخول. وكان الفريق السابق في الجيش العراقي نزار الخزرجي اللاجئ في الدنمارك منذ ١٩٩٩ مع عائلته قد اعلن امس امام محكمة في كوبنهاغن انه كان يريد مغادرة الدنمارك للمشاركة في قلب نظام الرئيس العراقي صدام حسين.

وقال الخزرجي بالعربية متوجها الى محكمة الاستئناف في كوبنهاغن ان "هدفي في الحياة هو المشاركة في قلب نظام صدام حسين. وحصل في

الآونة الاخيرة ما يشبه تغييرا في العراق. فقد طلبت مني حركات وتنظيمات عدة ان انضم الى نضالها، بما في ذلك مجموعات في كردستان".

وتعتبر الولايات المتحدة الخزرجي الذي فر عام ١٩٩٦ من بلاده الى الاردن احد المرشحين المحتملين للحلول محل صدام حسين.

ووجهت اليه تهمة ارتكاب جرائم حرب في حق الاكراد خلال الثمانينات في شمال العراق، في اطار تحقيق تجريه الشرطة الدنماركية منذ تشرين الاول اكتوبر ٢٠٠١، اثر تقديم لاجئين اكراد في الدنمارك شكوى بحقه.